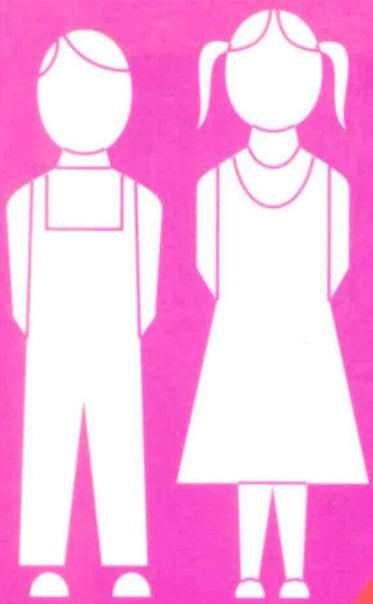

كوستي بندلي

الغيرة الاخوية
م[illegible]هم الوالدين

جروس برس
طرابلس - لبنان

طبعة ثانية منقحة ومزيدة
١٩٩٤

توطئة

أسئلة وملاحظات أبداها الأهل حول الغيرة الاخوية والعلاقات بين الاخوة(*)

١ ــ « ... عصبي المزاج لدرجة اذا غضب لَكَمَ رأسه في الحيطان. يريد أن يحكم نفسه ولا يريد أمراً عليه. **يغار جداً من الكبير والصغير** ». (ملاحظات والد عن ولده في الصف التمهيديّ).

٢ ــ « لي طفلتان احداهما عمرها أربع سنوات ونصف والثانية ثلاث سنوات ونصف.

١ ــ لماذا ابنتي الصغيرة تحافظ على ألعابها وأغراضها والكبيرة تهملها وتحطمها ؟. فهل من طريقة لتصبح الكبيرة مثل الصغيرة؟

---

* صدرت عن أهالي تلامذة قسم الحضانة والقسم الابتدائي في الثانوية الوطنية الارثوذكسية في طرابلس ــ الميناء، تمهيداً لندوة تربوية عقدها المؤلف معهم في ١٣ نيسان ١٩٧٨، وعن أهالي تلامذة الصف التمهيديّ والقسم الابتدائي والمرحلة المتوسطة في مدرسة الفرير في طرابلس، تمهيداً لندوة مماثلة عقدها المؤلف معهم في ١ آذار ١٩٨٠.

٢ ــ ابنتي الكبيرة تبول في الليل فقط والصغيرة لا! فقال لي الطبيب انها حالة نفسية. فما هي الطريقة النفسية لكي أتبعها ؟.

٣ ــ انني أعامل الاثنتي معاً نفس المعاملة وانني أبذل دائماً أقصى جهدي حتى أكون عادلة بينهما ولا أفرّق احداهنّ عن الاخرى، ورغم كل ذلك **توجد غيرة كبيرة بينهما**. فما هي الوسيلة النفسانية حتى أزيل هذه الغيرة ؟ (أسئلة والدة).

٣ ــ « دائماً يبكي بكثرة. **غيور بشكل مريع**. لا يأكل جيداً ودوماً يطلب كرميلاّ (حبة)، علماً باننا لا نحرمه من شيء. حياته في المنزل مريرة وعنيد جداً ». (ملاحظات والد عن ولده في السنة الاولى من الروضة).

٤ ــ « عنيدة كثيراً في البيت. وإذا عملت أي غلط تظلّ تبكي كثيراً **وغيورة من أخيها**... ». (ملاحظات حول طفلة في السنة الثانية من الروضة).

٥ ــ « حساس كثيراً بشكل عجيب **ويغار كثيراً**. ويخاف وصاير مش عميسمع الكلمة ». (ملاحظات والد عن ولده في الصف التمهيديّ).

٦ ــ « لنفرض ان الطفل قد أساء التصرف مع أخيه الصغير، فصرختُ في وجهه ووجهتُ له اهانة، فهل هذا التصرف يؤثّر على نفسيته أي انه يتعقّد في المستقبل عندما يكبر ويكره أخاه الصغير ؟ ».

ـ « **غيرة الطفل من أخيه** ».

٨ ـ « مشاكل كثيرة **وغيرة** ».

٩ ـ « يوجد خلاف بين الاخوة والاخوات ».

١٠ ـ « ذكي يعطي ولكن عندما يشاء، عصبي المزاج، سريع الخاطر، وانه على اختلاف (= خلاف) مع اخوته ويريد ان ينفّذوا مطالبه بسرعة ».

١١ ـ « لا صعوبات دراسية ولكن يتهرب من الدرس. **العلاقات مع الاخوة شيء من الغيرة**، ولكن العلاقات مع الطلاب ليست كما يرام، شيء من المشاجرة ».

١٢ ـ « ... طيشنة (= طيش) زائدة مع عدم تركيز على الدرس، العلاقات ما بين الاخوة والاخوات (مضطربة أحياناً) ».

١٣ ـ « العلاقات ما بين الاخوة والاخوات ».

١٤ ـ « العلاقات بينه وبين اخوته سيئة ».

١٥ ـ « انه كأي طفل عصبي مع اخوته ».

الفصل الأول

الغيرة : تعريفها وأسبابها

أولاً: تعريف الغيرة الاخوية

الغيرة الاخوية شعور بالضيق والعداء ينتاب الولد تجاه اخوة واخوات يعتبرهم منافسين له على محبة الوالدين وتقديرهم، وتهديداً لما يحتاج اليه من ثقة بالنفس واطمئنان الى قيمته الذاتية.

ثانياً: أسباب الغيرة الاخوية

١ ــ الأسباب العامة

الغيرة الاخوية هي في الاساس معاناة طبيعية لا بدّ ان يجتازها، بشكل أو آخر وبِنِسَبٍ متفاوتة من الحدة، كل ولد يواجَه بوجود اخوة واخوات الى جانبه في الاسرة. ذلك انها تنبع من كون الطفل ينزع بشكل عفوي، في أول الأمر، الى الاستئثار بالاهتمام والعطف، وذلك بمقدار حاجته القصوى اليهما بسبب قصوره وتبعيته، هذا القصور الذي يتميز به بنوع خاص الطفل الانساني

اذا (ما) قسناه بصغار الحيوانات التي سرعان ما تستطيع الاستقلال عن والديها[١].

هذه الغيرة الاخوية، التي تمتد إلى شتى ميادين الحياة والتي كثيراً ما تترك ذيولاً، وإن خفيّة، في علاقات الاخوة الراشدين أنفسهم[٢]، انما تتأصل في المنافسة على حب الأم[٣]، تلك الأم التي يشعر الطفل انه بأمسّ الحاجة إلى غذائها وعطفها ليستمر في البقاء وينعم بالأمان والطمأنينة والإنشراح، فينزع بالتالي الى الاستئثار بها، ولا يتوصل الى الانسلاخ عنها الا بشكل تدريجي وفقاً لتقدمه في النموّ. فلا عجب، والحالة هذه، أن يعتريه شعور بالإحباط عندما يصطدم بأخ أو أخت يقاسمه حب الوالدة ورعايتها.

لذا تزداد حدة الغيرة على قدر اهتمام الام بأولادها. يقول المحلل النفسي الاميركي ادموند زيمان بهذا الصدد:

« تشير الإحصاءات بانه حيثما تهمل الأمهات أولادهنّ، نجد الغيرة عند ٢٦٪ من الاولاد فقط، بينما نجد في العائلات التي تحضن فيها الأمهات أولادهنّ بشكل مفرط، ان ٨٠٪ من هؤلاء تبدو عليهم أعراض الغيرة بصورة متفاوتة الحدّة. أما العائلات المدعوة سويّة، أي تلك التي تهتم فيها الأمهات بأولادهنّ مع ترك شيء من الحرية لهم، فتصادَف فيها الغيرة عند حوالي ٥٠٪ من الاولاد »[٤].

من هنا أيضاً ان مراعاة استقلال الولد، دون احتضان مفرط له، يحدّ من أسباب نشوء الغيرة عنده[٥].

ولا غرو أن يكون شعور الغيرة قوياً بنوع خاص عند الولد حيال من يليه مباشرة من الاخوة. هذا لكونه يكتشف انه، بسبب ولادة هذا الدخيل، لم يعد محور اهتمام الأم الوحيد، فيخيَّل اليه انها تخلّت عنه لصالح منافسه، وذلك وفقاً لمنطق انفعاليّ طفوليّ يمكن ان نلخصّه بما يلي: « إن لم أكن وحدي محبوباً، فأنا لست بمحبوب »[٦]. يثبّته في هذا الاعتقاد اضطرار الوالدة بحكم الحال إلى بذل عناية خاصة بالمولود حديثاً، فيفسر الولد الأكبر هذا التركيز وفقاً لهواماته (أي تخيلاته الانفعالية) النابعة من حاجته إلى الأم ونزعته إلى الاستئثار بها، فيتوهمه نبذاً له لصالح سواه، فتتزعزع بسبب ذلك أركان كيانه المرتبط صميمياً بعطف الأم ورعايتها، خاصةً إذا كان لا يزال طري العود، وتعصف به رياح الغيرة.

وقد أثبتت عدة أبحاث ان « الحساسية لولادة جديدة تبلغ ذروتها بين ١٣ و٣٦ شهراً من العمر، وان الغيرة التي تثيرها هذه الولادة تتناقص وفقاً لازدياد فارق السنّ بين الاولاد »[٧]. هذا ما يلقي ضوءًا على الملاحظة رقم ٢ التي أثبتناها في مطلع هذه الدراسة، حيث لا بدّ أن يكون من عوامل « الغيرة الكبيرة » التي تشوب علاقة الطفلتين كون فارق السن بينهما سنة واحدة فقط، وكون الأكبر بينهما لم يكن لها سوى سنة واحدة من العمر عند ولادة اختها. بالمقابل تجدر الاشارة الى انه قد يكون استمرار الولد وحيداً في الاسرة لفترة طويلة من الزمن يولد له بعدها أخ أو أخت، عاملاً لايقاد الغيرة بسبب ما اعتاده هذا الوحيد سابقاً من استئثار طويل باهتمام الأهل، علماً بانه

قد يكون، من جهة أخرى، سار في معارج النموّ شوطاً أكسبه قسطاً من الاستقلال يحصّنه نسبياً ضد الإحباط الناتج عن فقدان مركزه المميَّز.

هذا وان العداء الذي يبديه الأكبر للأصغر من شأنه أن يثير عند هذا الأخير ردّ فعل عدوانيّ تجاه الذي يتقدمه في الاسرة، يذكيه ما ينتابه من ضيق من جراء تفوّق هذا الأخير عليه بفعل العمر، فينعكس ذلك بدوره احتداماً في عداء الأكبر وهكذا دواليك. من هنا ما لاحظته الحكمة الشعبية عندنا عن الخلاف الشائع بين الاخوين اللذين تنعتهما بالـ « روسيّة »، والمقصود اللذين « أتى احدهما على رأس الآخر » كما يقال، أي تبعه زمنياً من حيث الولادة.

٢ ــ وضع الولد البكر

ولكون الولد البكر يكون حكماً وحيداً لفترة من الزمن، فانه يتأثر أكثر من سواه ببروز المنافس الأخوي. ذلك لانه، خلافاً لبقية اخوته، قد عاش فترة كان فيها فعلاً مركز الكون في نظر والدَين اكتشفا من خلاله لأول مرة طعم الأبوّة والأمومة، وخصّاه بكامل رعايتهما دون سواه، وجعلا منه موضوع فرحهما واعتزازهما، وكأنهما كانا موجودَين له وحده لا يشاركه بهما أحد. لقد كانت تلك الفترة بالنسبة اليه نوعاً من « العصر الذهبي » كان فيه بمثابة ملك الاسرة. لذا فلا عجب ان تشقّ عليه بنوع خاص ولادة مَن يشعر به انه خَلَف له أتى لينتزع منه امتيازاته.

لا بل قد يتوهم، بمنطقه الطفوليّ، ان والديه انما انجبا طفلاً آخر لانهما لم يعودا راضيين عنه، لانه فقد قيمته في أعينهما. وكثيراً ما تترك هذه الخبرة القاسية أثراً في شخصية أبكار الأُسَر اذ تخلّف فيهم جرحاً خفياً وشكاً بقيمتهم الذاتية من شأنهما أن يرهفا حساسيتهم لصدمات الحياة وأن يضعفا إقدامهم في مواجهة مهامها وصعابها. أما الاولاد الباقون فصحيح انهم يشعرون بتهديد « المنافس » لهم، ولكنهم أكثر استعداداً للمشاركة وإياه، لانهم لم يجدوا نفسهم في وقت من الأوقات مركز اهتمام الوالدين الوحيد[٨].

في دراسة أجراها المحللان النفسيان موكو ورامبو سنة ١٩٥١ حول مرتبة الولد في الاسرة وتأثيرها على نفسيته، واستندا فيها الى ٢٠٠ ملفّ لاولاد من المنطقة الباريسية خضعوا لفحوصات نفسية بسبب ما كانوا يعانون منه من مشاكل انفعالية، اتضح أن « الغيرة تجاه الاخوة والاخوات تفوق نسبتها عند الأبكار (٦٥ بالمائة)، بشكل ملحوظ، نسبتها عند من يتبعهم في ترتيب الاخوة (٥٠ بالمائة) »[٩].

يقول الدكتور ألفرد أدلر واصفاً الوضع الفريد والدراميّ الذي يحياه البكر:

« ... البكر انما هو ولد كان، في لحظة ما، وحيداً. وبعدئذٍ لم يعد كذلك... »[١٠].

ويتوسع كما يلي في وصف معاناته:

« ... يبقى البكر وحده (حقبة من الزمن)؛ وبما انه وحيد

فهو على الأرجح مركز الانتباه ومدلَّل جداً. كل أهل البيت تحت تصرفه. فجأة يظهر ولد ثانٍ، وإذا بالوضع يتبدّل كلياً. لقد اعتاد أن يتصرف بكل شيء وكأنه مَلِك. بغتة يتجه انتباه الأم الى الطفل الثاني ولا يسعها في ما بعد أن تكرّس لبكرها نفس مقدار الوقت الذي كانت تخصصه له في السابق (...). كثيرون من الأطفال يحترقون عند ذاك غيرةً، ويبدأون صراعاً ضارياً ليضمنوا اهتمام الأهل وليستعيدوا الوضع الموافق الذي كانوا يشغلونه من قبل (...).

ان البكر يعيش مأساة حقيقيةً عند ولادة الأصغر... »[١١]

ويصف هذا المؤلف الجرح الذي يحمله البكر بقوله:

« وكأنه يحمل هذه العبارات محفورة في نفسه: « فجأة يظهر آخر ينتزع منك كل شيء.»[١٢].

وفي موضع آخر يصف الدكتور أدلر القلق الذي تخلّفه في نفس البكر تلك الخبرة الأليمة، خبرة التقلّص المفاجئ والمأساوي الذي طرأ على مجاله الحيوي:

« هؤلاء الاولاد يتصرفون لاحقاً وكأنهم يخشون دائماً ان يحتلّ آخر مكانهم. انهم يترصدون دائماً ليروا ان كان آخر لا يفضَّل عليهم. انهم يتهافتون دائماً الى المقدّمة... »[١٣].

٣ ــ وضع الولد الذي يشغل مرتبة متوسطة

أما الولد الذي يشغل مرتبة متوسطة بين أخوَين، فكثيراً ما يواجه هو أيضاً وضعاً صعباً. فهو، من جهة، دون الأكبر منه،

عمراً وخبرةً، ولذا يُحرَّم عليه أن يلعب في الاسرة دوراً معادلاً لذاك الذي يلعبه هذا الأكبر وأن يتمتع بمكانته، فيشعر ان بينهما فارقاً بالعمر لا يمكنه بحال من الأحوال أن يستلحقه، وهذا ما عبّر عنه أحد الاولاد بافضائه للدكتور أدلر:

« ما يحزنني بهذا المقدار هو انني لن أكون أبداً معادلاً لأخي في العمر »[١٤]. ومن جهة أخرى فهو يعاني من كون الأخ الذي يليه قد أزاحه من الموقع المتميز الذي يتمتع به دائماً لفترة ما آخر المواليد. علماً بان معاناته تكون أشدّ اذا كان فارق العمر بينهما ضئيلاً جداً، بحيث لم يترك له فسحة كافية يستمتع فيها بتركيز الاهتمام والعطف على شخصه. أضف إلى ذلك بانه، إلى جانب حرمانه من مكانة الأكبر، يطالَب من الأهل بان يتصرف بتعقل وتفهم تجاه من هو أصغر منه. ومن جراء هذا الموقع الصعب بين نارين، قد يصيب ولد الوسط إحباط مزدوج وقد يعتريه شعور بانه انما هو مهمَل وهامشيّ، مما يؤجّج الغيرة عنده[١٥].

الفصل الثاني

الغيرة المعاشة وأبعادها

أولاً: ازدواجية المشاعر لدى الولد الغيور

ان مشاعر العداء التي تنتاب الطفل تجاه الأخ المنافس عفوية ومتأصلة في الغريزة الى حدّ ان بعض المحللين النفسيين ذهبوا إلى الاعتقاد انها الوجه الأول الوحيد للعلاقة الأخوية. بهذا المعنى كتب المحلل النفسي الكبير شارل بودوان: « يولد الاخوة أعداءً »[١٦].

الا انه قد تكون في هذه النظرة بعض المبالغة. ذلك ان الطفل لا يخلو من مشاعر إيجابية، عفوية هي أيضاً، حيال منافسه الأخويّ، تتصارع في نفسه مع المشاعر السلبية. فنراه أحياناً يلاطف كثيراً ذلك الطفل الأضعف منه والسريع العطب، ويحنو عليه، ولا يطيق أن يرى الوالدة تتركه يبكي أو تؤنّبه. كما نراه أحياناً ينتظر بفارغ صبر أن يكبر هذا الطفل القاصر ليتسنى له أن يلعب وإياه وأن يلقنه ما قد تعلمه هو[١٧].

والحق يقال ان مجيء الطفل الجديد لا يخلو من فوائد بالنسبة

للأكبر منه، خاصةً إذا كان هذا الأخير وحيداً حتى ذلك الحين، منها انه يخفف بوجوده من وطأة تركيز الأهل عليه ويعطيه بالتالي مجالاً ليتنفس الصعداء، كما انه يسمح له بالتكتل مع هذا الوارد حديثاً لينشئ معه عالماً متضامناً يكون مجالهما الخاص ويُستبعَد منه الكبار إلى حد ما[١٨].

لكل هذه الأسباب، فان من يلاحظ سلوك أخوين متنافسين، اللهمّ اذا كان التنافس بينهما سوياً غير منحرف، يرى انهما، الى جانب تكرار المخاصمة والمضايقة المتبادلة والمشاجرة بينهما، فانهما لا يطيقان الإنفصال احدهما عن الآخر، بل يسعى كل منهما الى أخيه ويلازمه ويتعاون وإياه ويناصره ويتبادل معه الأحاديث الطويلة ويدبر وإياه المقالب للآخرين ويتوزع معه الأدوار في أعمال « الشيطنة ».

هذا ما ينسجم مع نظرة الطبيب النفسانيّ الدكتور لويس كورمان الذي يؤكد على إزدواجية المشاعر التي تربط الاخوة، بحيث يتجاذب كلاً منهم، الى جانب العداء التنافسيّ حيال الأخ، الرغبة في الاتحاد والتواصل معه. ويستشهد كورمان بهذا الصدد بعبارة للمحلّل النفسي الشهير أوتّو رانك، يقول فيها:

« ان حبنا الاول وكراهيتنا الاولى يتجهان كلاهما نحو الأخ ». ويعزو كورمان هذا التجاذب الوجدانيّ الى كون الطفل لا يتضايق من منافسه وحسب، انما هو محتاج الى الإلتحام به لينجو من عزلة لا يطيقها ويحقق الإنشراح النفسي الذي يصبو اليه[١٩].

أضف الى ذلك ان الطفل، بسبب العلاقة الحميمة التي تجمعه

بوالدته، يتماهى (أي يتقمص) عفوياً حبها لأخيه، مما يجعله بدوره يبدي له الحب رغم المنافسة القائمة بينهما.

هكذا نرى ان وجدان الولد الغيور مسرح لتنازع الحب والعداء. وهذا ما من شأنه ان يفسّر التأزّم النفسي الذي يلازم الغيرة الاخوية، كما انه يفسح المجال أمام امكانية تطورها الايجابيّ.

ثانياً: إيجابيات الغيرة

فالغيرة الاخوية مرشحة لتكون، إذا عيشت في شروط ملائمة أي في تلاحم صميم بين العداء والحب، حافزاً للنمو والإنطلاق والنضج[٢٠]. ذلك لانها تسمح للطفل أن يتخطى اعتقاده الوهميّ الاول بانه مركز الكون ومحوره، فيكتشف حدوده وبآن معاً يكتشف تمايزه وفرادته (فوَعْيُه بان الوالدة ليست امتداداً له يرافقه وعي بانه ليس امتداداً للوالدة) إلى جانب اكتشافه بان للآخر وجوداً متميزاً ومستقلاً لا يستطيع هو ان يستأثر به ويتملكه. هكذا يتمرس الولد على قبول الآخر كآخر وعلى الدخول في علاقة حقيقية معه، ويتعلم تخطي الاستئثار نحو المشاركة. هكذا يبدأ تدريب الولد على مواجهة متطلبات الحياة الاجتماعية، مما يجعل هذه الخبرة الاخوية الاولى خبرة نموذجية تنعكس نتائجها على ما يليها من خبرات العلاقة بالآخرين في المدرسة ثم في المجتمع الواسع. هكذا تتاح للولد ذي الاخوة فرصة للنضج واكتساب القدرة على الاتصال بالغير لا تتاح للولد الوحيد[٢١].

ثم ان الغيرة الاخوية حافز للنموّ من حيث انها تضطر الطفل الى الانسلاخ عن النمط الطفوليّ في العيش الذي كان سائداً في بدء حياته والذي كانت تغلب عليه الحماية والتبعية في كنف الأم. هذا العالم الأمومي المغري بدفئه الى حد ان الولد قد تسوّل له نفسه أن يتشبث به ليتجنب مجازفة النموّ وما تأتي به من مجهول مقلق، قد احتلّه الآن الأخ المنافس، وهذا ما يضطر الأكبر سناً الى التوجه قُدُماً، الى الاقلاع نحو المستقبل، الى التعويض عما خسره من حماية ودفء باكتساب قدرات أوفر ومهارات جديدة ومزيد من الاستقلال.

انما يُشترط، كي تتحقق ايجابيات الغيرة التي نحن بصددها، أن يتمّ التوازن بين العنصرين اللذين رأيناهما يتجاذبان وجدان الولد الغيور، الا وهما الحب والعدوان، بحيث يندمجان فيلطّف كل واحد منهما الآخر ويوجهه في خط سليم، فلا يؤول العدوان الى رفض الآخر أو السعي الى إيذائه وتدميره بل الى مجرد التمايز عنه وتأكيد الفرادة الذاتية حياله، ولا يؤول الحب الى ذوبان في الآخر بل إلى الارتباط به والتناغم معه والتعاون وإياه والمشاركة الوجدانية معه. هذا يعني أن يؤول الصراع بين الحب والعدوان، اللذين يتنازعان في الولد الغيور، الى الحلّ الآتي: ينفّس الولد عن قسط من عدوانه، ويكبت قسطاً آخر، ويسمو بما تبقّى[٢٢] فيرتقي به الى مرتبة المنافسة الشريفة وممارسة الحماية تجاه الأخ الأصغر (تلك الممارسة التي تمنح شعوراً ايجابياً وبنّاءً بالتفوق) وما أشرنا اليه من تأكيد للتمايز والفرادة وإقبال على النموّ (بما يمنحه هذا الأخير من تقدم على المنافس).

هذا التوازن بين الحبّ والعدوان، الذي لا يتمّ الا تدريجياً ككل عملية النموّ، مرتبط الى حد كبير في تحقيقه بموقف الوالدين من أولادهم بشكل عام ومن سلوك الغيرة الذي يبدر عنهم بشكل خاص. فهناك تصرفات يبديها الوالدون حيال ولدهم الغيور من شأنها أن تؤجّج العناصر السلبية في الغيرة الأخوية على حساب العناصر الايجابية، وأن تعرقل بالتالي تطور الغيرة الى ما فيه تقدم الولد في معارج النموّ والنضج. ولسوف نشير إلى هذه التصرفات الوالدية في معرض حديثنا عن مواجهة الغيرة، اذ ان هذه المواجهة تقتضي تلافي كل ما من شأنه أن يعقّد ويعرقل سيرها نحو الحلّ السويّ.

ثالثاً: المظاهر السلبية للغيرة

ان المظاهر السلبية للغيرة موجودة دائماً بشكل أو بآخر، انما هي تستفحل اذا انحرفت الغيرة عن أشكالها السويّة بفعل عوامل، منها مزاجية ومنها ما هو مرتبط باضطراب العلاقة بين الأهل والاولاد أو باخطاء تربوية يرتكبها أولئك. ويمكن تلخيص هذه المظاهر السلبية بثلاثة عناوين: العدوان السافر، العدوان المكبوت، النكوص الى مراحل طفولية بدائية.

١ ــ العدوان السافر[٢٣]

وهو الذي ينصبّ مباشرة على المنافس، متخذاً أشكالاً متفاوتة الخطورة.

أ ــ الاعتداء على الأخ الأصغر

منها الاعتداء على الاخ الاصغر، وهو سلوك خَطِر بسبب الطابع الأهوج لاندفاع الطفل وراء غريزته وعدم تقديره لعواقب أفعاله. ومن هذا الباب ما يذكره فرويد عن طفلة دون الثالثة من عمرها كانت تحاول ان تخنق أخاها في مهده[٢٤]. وقد يهدد هذا السلوك العدوانيّ حياة المنافس أو سلامته الجسدية[٢٥].

● هذا ما نراه في ملاحظة يرويها لنا شارل بودوان عن طفلة في الرابعة سكبت صبغة اليود على عيني أختها التي كان لها من العمر ثلاث سنوات، وكانت طفلة جميلة أجمل ما فيها عيناها اللتان كانتا تثيران تعابير الإعجاب تُطلَق أمام الاخت الكبرى. ولحسن الحظ أمكن انقاذ عيني الصغيرة بفضل تدخّل طبيّ سريع ولكون الحروق لم تكن الا سطحية[٢٦].

ب ــ المشاجرات

ومنها المشاجرات، والكلّ يعرف كم هي شائعة ومتكرّرة بين الاخوة المتعاقبين من حيث الولادة.

ج ــ كلمات التحقير والرفض والكراهية

ومنها كلمات التحقير والرفض والكراهية يطلقها الولد بحقّ منافسه.

● من هذا الباب ما يذكره فرويد عن غيرة ولد من أقاربه

حيال أخت تصغره بخمسة عشر شهراً. فقد كان هذا الطفل يلاطف أخته ويقبّل يدها، ولكنه منذ ان بلغ الثانية من عمره وتعلم الكلام، أخذ ينتقد هذه المنافِسة. فكان كلّما تحدثوا عنها أمامه تدخّل في الحديث وأخذ يصيح بنبرة الاستياء: انها قصيرة القامة، قصيرة القامة. وعندما نمت الأخت وازداد طول قامتها بشكل ملحوظ، حوّل الطفل انتقاده الى ناحية أخرى وأخذ يلاحظ كلما سنحت له الفرصة: « ليس لها أسنان »[٢٧].

● ويورد المحلل النفسي الألماني الشهير كارل أبراهام ملاحظة عن طفلة ذات أربع سنوات كانت تشاهد حمام أخيها الصغير البالغ من العمر أربعة أيام، فقالت للخادمة: « إجعليه يغرق »[٢٨].

● ويذكر المحلّل النفسي شارل بودوان كلمات أخرى من هذا النوع[٢٩].

● وتتذكر طفلة في الصف الرابع الابتدائي ما يلي: « عند ولادة أخي، صرخ بقوة، فقلت لامّي: « أعيديه (من حيث أتيتِ به)، فلستُ بحاجة اليه، انه يصرخ بهذا المقدار ! »[٣٠].

● رُوي لي عن طفلة عمرها سنتان، وهي الإبنة البكر لزوجين من أصدقائي، انها قالت عن أختها المولودة حديثاً: يجب رميها من الشرفة (والجدير بالذكر ان غيرة هذه الطفلة بدأت منذ ان كانت أمها حاملاً بالصغيرة، اذ كانت تغافلها فتضربها على بطنها).

٢ ــ العدوان المكبوت

وقد يُكبت العدوان بسبب اصطدامه بالمودة التي رأيناها ملازمة له في وجدان الولد الغيور، كما وأيضاً بسبب خوف الولد من أن يفقد عطف الوالدَين من جراء مشاعره العدوانية حيال أخيه. ولكن هذا الكبت لا يعني ضبطاً حقيقياً للنفس، بل تعامياً عن وجود النزعة العدائية واخفاءً لها في طيات اللاشعور حيث تبقى حية، متوثبة، تعبّر عن ذاتها بأساليب غير مباشرة كون سبيل التعبير المباشر قد أُغلق دونها. من هنا تنشأ مظاهر متنوعة تعبّر كلها عن غيرة مكبوتة. وتنتشر هذه المظاهر بشكل خاص عندما يتجاهل الأهل الدور الطبيعي الذي تلعبه الغيرة في حياة الولد ويقفون منها موقفاً قمعياً يحرّم عليها كل تنفيس مباشر. فقد يتقولب الولد في هذه الحال بالقالب الوالديّ المفروض عليه، الى حد ان الغيرة قد تختفي، في الظاهر، من سلوكه، ولكنها تتجلى اذ ذاك بأعراض مختلفة قد تبدو بعيدة عن أصلها ومصدرها بحيث لا يظهر ارتباطها به الا لاستقصاء دقيق، وذلك لان وظيفة تلك الأعراض هي بالضبط التعبير عن جوهر المشكلة والتستير عليه وتمويهه بآن معاً.

ومن هذه الأعراض:

أ ــ سورات الغضب

التي قد تتفجر لأتفه الأسباب، اذ تُتخذ اذ ذاك ذريعة للتعبير عن عداء موجّه بالفعل، لا الى الموضوع الذي يستهدفه الغيظ في الظاهر، بل، من خلاله، الى الأخ المنافس.

● وقد تشير الملاحظة رقم ١ المثبتة في مطلع هذه الدراسة الى هذا الارتباط بين الغضب والغيرة عند طفل في الصف التمهيديّ. ولربما أدّى الغضب إلى تحطيم ألعاب أو أغراض أخرى تُتخَّذ متنَفَّساً للعدوان وبديلاً رمزياً لمن هو موضوعه الأصليّ:

● هذا ما قد يساهم في تفسير ظاهرة تحطيم طفلة الملاحظة رقم ٢ لألعابها وأغراضها.

ب ــ العناد والعصيان

العناد والعصيان هما نوع من العدوان المستتر الذي يتناول الوالدَين انتقاماً منهما بسبب ما منحاه من حبّ للمنافس.

● وقد أبرز الطبيبان النفسيان هوير ودوبلينو* الارتباط القائم بين نشوء سلوك المعارضة عند الولد وبين ولادة أخ أو أخت له. ووصفا بهذا الصدد حالة صبي أصبح سلوكه لا يطاق منذ ان ولدت له أخت، وقد عبّر عن ضيقه منها بقوله: « الآن لم يعد أحد يهتمّ بي »[٣١].

وقد بيّنت احدى الاخصائيات ان الولد، عندما يرى أنظار الأهل متجهة نحو منافسه، يشعر ان وجوده نفسه أضحى مهدداً، وتضيف:

« كم من الاولاد « العُقّال » يتحولون. فيصبح سلوكهم لا

---

* Heuyer et Dublineau.

يطاق، عند ولادة أخ، (وذلك) لكي يجتذبوا الانتباه، لكي يوجَدوا ! »[٣٢].

● كما تشير الملاحظات رقم ١ و٣ و٤ الواردة في توطئة هذا الكتاب الى ارتباط محتمل بين العناد والغيرة عند الأطفال الذين تدور هذه الملاحظات الثلاث حولهم.

ج ــ القاء أشياء من النافذة أو الشرفة

وهي ظاهرة حلّلها فرويد انطلاقاً من احدى ذكريات الأديب الألماني الشهير غوته عن طفولته، وبيّن كيف انها ترمز الى نبذ المنافس الذي تمثله تلك الأشياء التي يرميها الولد خارج المنزل، وكأنه بعمله هذا يحقق سحرياً رغبته في التخلص من منافسه[٣٣]. (وتجدر الاشارة الى ان المقصود الحقيقي من هذا العمل الطفوليّ الرمزي يتمثل بجلاء في الملاحظة التي أوردناها أعلاه عن طفلة عمرها سنتان كانت تقول بضرورة القاء اختها الصغيرة من الشرفة).

د ــ القسوة على الحيوانات

وقد يقسو الولد الغيور على الحيوانات اذ يتخذها لاشعورياً بديلاً عن الأخ المنافس، فيصبّ عليها الكراهية المكبوتة التي تستهدف في الأصل هذا الأخير[٣٤].

● بهذا الصدد يروي لنا المحلل النفسي شارل بودوان ملاحظته عن طفلة في الخامسة من عمرها كانت ترغب في

قتل جميع الحشرات وكانت تنفّذ هذه الرغبة وإمارات القسوة تبدو على وجهها. حاول بودوان أن يفهمها ان هذه الحيوانات غير مؤذية، وانه ان كان بعضها مؤذياً يقتضي قتله فلا حاجة الى تعذيبه. ولكنها أجابت باصرار: « أريد أن أعذبها ». وقد كان لبودوان أسباب تدفعه إلى الاعتقاد بان سلوك الطفلة هذا كان يعبّر عن عدائها لأخيها الصغير برنار. لذا فانه ذات يوم، فيما كان معها في الحديقة حيث كانت تتابع تقتيلها للحشرات، قال لها مشيراً الى تلك: « ولكنها لا تُدعى برنار ». فنظرت اليه الطفلة نظرة دهشة وتفكير، واذا بهياجها ضد الحشرات يتلاشى فجأةً. ذلك ان بودوان دخل في لعبتها وأوضح لها، من خلال ذلك، المعنى الرمزي الكامن في سلوكها، فكانت لمداخلته الموجزة هذه فعالية لم تتوفر للحجج المنطقية والأخلاقية التي سبقتها. ذلك لان تلك الحجج لم تكن تتناول القصد الحقيقي الذي كانت تبغيه الطفلة لاشعورياً من وراء سلوكها[٣٥].

هـ ــ الاكتئاب

وهو نتيجة العملية النفسية التالية: يكبت الولد النزعة العدوانية الموجهة بالأصل إلى منافسه الأخويّ، وإذ لا تجد هذه النزعة طريقاً إلى هدفها الأول ترتدّ على ذات الولد وتؤذيها، مما يتسبب في تكدير مزاجه وإثارة شعورٍ لديه بالدونية والنقص[٣٦]. هذا ما قد تشير اليه الملاحظات ٣ و٤ و٥ المثبتة في مطلع هذا الكتاب.

● ففي الملاحظة رقم ٣، نرى طفلاً « يبكي بكثرة » و« حياته في المنزل مريرة » رغم ان والدَيه لا يحرمانه من شيء، كما يؤكد الوالد. وقد يكون سبب اكتئابه هذا، الذي لا يبرّره شيء في الظاهر، ما ورد عنه في الملاحظة نفسها من « انه غيور بشكل مريع ». وكأننا به يحوّل ضد ذاته الطاقة العدوانية المكبوتة التي تثيرها هذه الغيرة (وهو بذلك يتصرف كمن يلطم رأسه بالحائط* أو يعضّ شفتيه حتى يدميهما، في سورة غضبه). فيؤول ارتداد العدوان على نفسه على هذا المنوال الى تنغيص حياته.

● أما الملاحظة رقم ٤، فتشير إلى طفلة « اذا عملت أي غلط تظل تبكي كثيراً »، وهي بنفس الوقت « غيورة من أخيها ». وكأن العدوان المكبوت الذي تثيره هذه الغيرة يجد له مصرفاً بالارتداد على ذات الطفلة، فيزعزع ثقتها بنفسها بحيث يجعلها تسترسل في البكاء لأقل هفوة ترتكبها.

● وقد نجد ارتباطاً من هذا النوع في مضمون الملاحظة رقم ٥ التي تصف طفلاً يجمع الى كونه « يغار كثيراً »، انه « حساس كثيراً بشكل عجيب ». فقد تكون هذه الحساسية البالغة إشارة إلى سرعة عطب الولد المذكور أمام صدمات الحياة والى ضعف مقاومته لها وصموده في وجهها، نتيجة لاكتئاب أشاعه في نفسه ارتداد النزعة العدوانية، النابعة من غيرته الشديدة، عليه.

---

* هذا ما يفعله طفل الملاحظة رقم ١ وهو غيور أيضاً.

و ــ الخوف

ان الخوف، اذا تضخّم عند الولد دون وجود مبرّر موضوعيّ لذلك، قد يكون مؤشراً لما يحمله هذا الولد في ذاته من نزعة عدوانية مكبوتة يسقطها على العالم الخارجيّ أو على بعض عناصره، فيبدو له هذا العالم مرعباً لانه يعكس له ويردّ عليه ما يعتمل في نفسه من عدوان (وكأن المرء، في هذه الحال، « يخاف من ظلّه »).

● وقد تشير الملاحظة رقم ٥ المذكورة أعلاه الى هذا الارتباط بين الخوف من جهة وعدوان الغيرة المكبوت من جهة أخرى، اذ انها تصف الطفل الذي تتناوله، على انه « **يغار كثيراً ويخاف** ».

● هذا واننا نجد عند الاخصائية النفسية الاميركية سلما فرايبرغ ملاحظة معبّرة بهذا الصدد، اذ تصف لنا طفلة كانت تُضرب على قفاها بانتظام كلّما تهجّمت على أخيها الصغير، حتى انها أصبحت بعد ردح من الزمن طفلة « مثالية » لا يصدر عنها أي سلوك عدوانيّ. ولكن سرعان ما اعترتها بالمقابل مخاوف وأصبح نومها مضطرباً وصارت تتشبث بامها كل النهار[٣٧].

ز ــ تكبيل الحيوية

وقد يؤول كبت النزعة العدوانية التي تحملها الغيرة الأخوية الى تكبيل حيوية الولد. ذلك ان النزعة العدوانية (كما أوضحنا في كتابنا: « عصبية الولد... وتوتر الوالدَين ») لا تنحصر في

العِداء، إنما هي أعمّ منه وأوسع، لانها تشمل كل مظاهر الديناميكية والنشاط والنضالية والمواجهة وتأكيد الذات. ومن هنا ينتج انه اذا كانت الشحنة العدائية الملازمة للغيرة الاخوية شديدة الحدّة، فقد يُضطر الولد، لاجل الاحتماء من مخاطرها عليه وعلى منافسه، أن يكبتها كبتاً عشوائياً لا يصيب العداء وحسب انما يتجاوزه ليمتدّ الى كل ما يتصل به من مجالات « العدوان » بالمعنى الواسع لهذه الكلمة، أي إلى كل مظاهر النشاط والمجابهة والنضال، اذ ان شحنة العداء قد تسربت الى هذه المجالات كلّها. وقد أوضح المحلّل النفسيّ النمساويّ أوتّو فنيشيل بهذا الصدد ان « الذين يحملون كراهية حادة مكبوتة قد يتصورون كل نشاط على انه اعتداء. وهكذا فقد يصل الأمر، في الحالات الخطيرة، الى شلّ كل نشاط لديهم »[٣٨]. من هنا ان العدوان المكبوت لدى الولد الغيور قد يؤول الى بلادة في السلوك، ولامبالاة بالعمل وحتى باللعب أحياناً، وضعف في روح المبادرة وركود في النشاط المدرسيّ[٣٩]. وكأن الولد، من خلال بلادته وكسله وخموله، يحتمي من النشاط المتوثب فيه، فيجمّده خشية ان يصبّ في قناة العداء المدمّر الذي يحسه كامناً متربصاً في أعماق نفسه[٤٠].

٣ ــ النكوص الى مراحل طفولية بدائية

وقد تدفع الغيرة بالولد إلى النكوص (أي التراجع) الى مراحل طفولية كان قد تخطاها، وكأنه، من خلال هذا التراجع، يحاول الهرب من المأزم الحاضر بالعودة الى مرحلة لم تكن الأزمة

قد نشبت فيها بعد ولم يكن أحد ينافسه فيها على الحب. من هنا تنشأ ظواهر كمصّ الإصبع مجدداً، أو عدم الترتيب أو الإمتناع عن الأكل، أو البوال (أي التبويل اللاإراديّ)، أو التأتأة، أو عدم الرغبة في الدراسة، أو عدم احترام ملكيّة الغير الخ... ولسان حال الولد، من خلال هذه الأعراض كلها، انه يتخلى عن مكاسب النموّ والكِبَر ليعود الى الطفولة الاولى الهانئة بكل ما تتميز به من نزوات بدائية وانطلاق للغريزة على سجيتها، وانه يحاول بآن معاً أن يلفت نظر الوالدَين اليه بهذا التغيير الحاصل في سلوكه وان يرغمهما بواسطته على تركيز الاهتمام عليه مجدداً كما كانا يفعلان قبل بروز المنافس، كما انه يستجدي عطفهما بظهوره بمظهر الطفل العاجز (متماهياً بذلك أخاه الأصغر، ولسان حاله يقول: طالما ان الصغير يستأثر بالرعاية، فلا بدّ لي أن أعود صغيراً لأظفر بحظوته واستعيد امتيازاتي الأولى)[٤١]. بالإضافة إلى انه ينتقم أيضاً منهما بما يثيره لديهما من متاعب وقلق وضيق بسبب أعراضه. هذا كله يتمّ بالطبع دون ان يعي الولد معنى هذه الأعراض التي يعتمدها عفوياً، دون تصوّر واعٍ للقصد والغاية، مدفوعاً بدافع غريزيّ مبهَم.

ولنفصّل في ما يلي بعض هذه الظواهر:

أ ــ الامتناع عن الأكل

● نراه وارداً عند الطفل موضوع الملاحظة ٣، الذي يقول عنه والده انه « غيور بشكل مريع » وانه « لا يأكل جيداً ».

وكثيراً ما يعبّر هذا الامتناع عن نكوص الولد انفعالياً الى المرحلة الاولى من عمره، تلك التي كان فيها طعامه الوحيد هو رضاعة حليب الأم الذي يحمل اليه مع الغذاء الضروري دفء الأم وحنانها وحمايتها. رفض الطعام يعني في هذه الحال حنين الولد الى تلك الحقبة الهانئة الاولى من حياته التي كان يُخيّل اليه فيها ان الام له وحده لا ينافسه عليها منافس. من جهة اخرى، فبما ان الولد يحس بالأهمية التي يوليها والداه ــ والأم خصوصاً ــ لتغذيته، فانه لاشعورياً يسعى الى اقلاقهما من خلال هذا النوع من « الاضراب عن الطعام » الذي يمارسه، ليضطرهما الى تركيز الاهتمام عليه وتحويله عن منافسه. من هنا ضرورة تحاشي الوالدَين الدخول في لعبة الابتزاز اللاشعوريّ هذه التي يمارسها ولدهما، وذلك بالسيطرة على القلق العفوي الذي ينتابهما حيال إعراضه عن الطعام، وبتحاشي الضغط المفرط عليه بهذا الشأن. ينبغي ان تؤخذ الأمور بشيء من « الروح الرياضية » مع الحرص على نزع الطابع الدراميّ عنها. فهذا ما يسهّل عودة المياه الى مجاريها. أما اذا انزلقنا إلى الدخول مع الولد في صراع في هذا المجال، فالمحتمل كثيراً ان تتعقّد المشكلة وتستعصي ويتصعّد « إضراب الولد عن الطعام »، ويصبح إيجاد الحلّ صعب المنال لان الاهتمام تركّز على أحد أعراض الأزمة، فضخّمه، عوض أن يتركّز على صِلبها وأساسها[٤٢].

● ومن باب هذا النكوص الى المرحلة الرضاعية (أو ما يسمّيه المحللون النفسيون « المرحلة الفمية »)، ما يرافق امتناع الطفل

موضوع الملاحظة رقم ٣ عن الطعام، وهو انه « دوماً يطلب كرميلا » (الكرميلا هي حلوى مصنوعة من السكّر المحروق). إذ ان الرغبة المفرطة في تناول السكاكر عند الولد هي من تعابير تشبّثه بالمرحلة الرضاعية حيث كان ينعم بحلاوة طعم حليب الأم[٤٣].

ب ــ البوال[٤٤]

● البوال هو ما تشكو منه والدة الملاحظة رقم ٢ لدى ابنتها الكبرى، وقد عرضت الطفلة (وعمرها أربع سنوات ونصف) على الطبيب الذي قال لها « انها حالة نفسية ». علماً بان هذه الوالدة تشير إلى وجود « غيرة كبيرة » بين هذه الطفلة وأختها الصغرى البالغة من العمر ثلاث سنوات ونصف.

● أما الاخصائية النفسية سلما فرايبرغ فتصف لنا حالة طفلة رَبَّوها على استبدال أعمالها العدائية ضد أختها الصغيرة بأعمال ودّية، فأدّت هذه القولبة القسرية إلى ان الطفلة المذكورة أضحت تغالي في إبداء الحبّ لكل من كانت تشعر نحوه بعداء، ولكن غضبها المكبوت وجد متنفّساً له في عَرَض برز عندها في تلك الآونة، إذ أصبحت تبول في سريرها.

ان المنطق اللاشعوري للبوال في مثل هاتين الحالتين هو الآتي: يتشبث الولد بوضعه الطفوليّ[٤٦] الذي يتميز بانعدام السيطرة الإرادية على الوظيفة البولية (أو يتقهقر إلى هذا الوضع بعد فترة من النظافة البولية)، وذلك كي يستأثر بالعطف الوالديّ

كما كان يستأثر به في السابق، وهو بآن معاً ينتقم من الوالدة بازعاجها بغسل الحاجيّات الملوثة وبإثارة شعور بالخجل والضيق لديها ناتج عن رؤيتها لولدها يتصرف بما هو دون المستوى اللائق بسنّه. كما انه، بالإضافة إلى ما سبق، يعاقب نفسه على غيرته من خلال ما يجلبه على نفسه من تأنيب والديّ على بواله.

ج ــ التخلّف المدرسيّ

وقد يكون من مظاهر النكوص الى مراحل طفولية، تخلّف مدرسيّ ينتج عن عدم رغبة في الدراسة، أو عن ضعف في التركيز وما شاكل ذلك من عوامل تؤثّر سلبياً في تكيّف الولد مع المتطلبات المدرسية.

● وقد نجد اشارة الى هذا الارتباط بين الغيرة الاخوية والتخلف المدرسيّ، في الملاحظتين رقم ١١ ورقم ١٢ الواردتين في توطئة هذا الكتاب. هذه الظاهرة تعبّر هي أيضاً عن رفض الكِبَر (والنجاح المدرسيّ يُعتبر طريقاً له في مجتمعاتنا) من أجل المحافظة على « امتيازات » الطفل الصغير، كما انها أيضاً محاولة للفت انتباه الوالدَين، وإقلاق عدوانيّ لهما من خلال تخلف الولد في ميدان ينيان عليه، في عالمنا الحاضر، عظيم الآمال من أجل مستقبله، ويستمدان منه كثيراً من دواعي اعتزازهما بذريتهما.

د ــ عدم احترام ملكية الغير

وقد يتخذ نكوص الولد الى مراحل طفولية بدائية بدافع من

غيرته، صورة بروز ظاهرة عدم احترام ملكية الغير لديه، وهي ظاهرة كانت طبيعية لدى الطفل الصغير الذي لا يسعه ان يقيم وزناً لملكية الآخرين بسبب الأنوية (أي محورية الأنا اللاشعورية) المتحكمة فيه.

● ويقدم لنا الاخصائي النفسي الألماني والتر شرامل بهذا الصدد الملاحظة التالية عن بنت قام بفحصها نفسانياً بناءً على استشارة والدَيها له. كان لماري (وهو الاسم الذي يطلقه على البنت المذكورة) ثماني سنوات من العمر، وكانت ذكية وفاتنة، ولم يكن والداها يجدان فيها حتى الآونة الأخيرة الا ما يرضيهما، إن من حيث عملها المدرسيّ أو من حيث سلوكها اللطيف والمطيع في العائلة. ولكنه لوحظ فجأة انها بدأت منذ فترة تسرق من البيت سكاكر ومواداً أخرى كالتبغ والسجاير ومبالغ قليلة من المال. وكانت هذه المواد المسروقة لا تزال تُعتَبر، في تلك الفترة التي تلت الحرب العالمية الثانية، ثمينة جداً في المانيا (وكان والدا البنت أميركيين مقيمين في ذلك العهد في المانيا). إلّا انه اتضح ان ماري لم تستهلك بنفسها تلك المواد، انما وزعتها على رفاق لها أو على راشدين ألمان، وانها استعملت ما توفر لديها من مال لشراء حاجيّات أخرى كانت تهبها أيضاً لسواها. وقد كسبت بسخائها هذا عطف الذين كانوا مدينين لها بتلك العطايا. أما الدافع الذي حدا بماري الى انتهاج هذا السلوك الغريب، فقد اتضّح انه الآتي: كانت ماري موضوع اعجاب محيطها العائلي الى حدّ ان جدّتها أطلقت عليها لقب

« الأميرة الصغيرة ». وإذا بها ترى نفسها أمام أخت أصغر وُلدت منذ بضعة شهور، وإذا بالاهتمام الذي كان الأهل والأقارب يصبّونه عليها يتحول الى اختها، ونعوت « الفاتنة » و« اللذيذة » الخ... تنسكب على المولودة الجديدة، واذا بـ « الأميرة الصغيرة » المدلّلة حتى ذلك الحين، تجد نفسها وقد أصبحت على الهامش. فكان منها ان حاولت اجتذاب العطف والإعجاب مجدداً عن طريق ما اعتمدته من سلوك[٤٦]. وقد أصاب هذا الأخير الهدف المنشود، إضافة إلى ما حقّقه من نكوص هروبيّ الى سلوك طفوليّ، ومن إقلاق للوالدَين واضطرارهما الى مزيد من الانتباه والرعاية لابنتهما الكبرى.

الفصل الثالث

كيف نواجه الغيرة الاخوية

الغيرة الأخوية أزمة لا بدّ منها كما رأينا. انما ينبغي لنا السهر على ان تتخذ هذه الغيرة منحى سوياً، فتكون عنصراً من عناصر تقدم الولد في مدارج النموّ، وعلى ان لا تستفحل مظاهرها السلبية فتنحرف بها الى ما يُلحق الأذى بالولد وعلاقاته، حاضراً ومستقبلاً. ولا بدّ في سبيل ذلك من ان يتخذ الوالدان من ولدهما الغيور مواقف يمكن تفصيلها بما يلي:

أولاً: ان نُعدّ الولد لمجيء « الدخيل »

ينبغي ان نعدّ الولد للصدمة التي سوف يتلقاها لا محالة ــ خاصةً اذا كان بكراً ــ من جراء مجيء « الدخيل » الذي سوف ينافسه. يؤكد الدكتور دودسون، وهو معالج نفسي ومربٍّ اميركي، بهذا الصدد، ان على الأهل ان يعرفوا ان الغيرة وما يصحبها من عداء ضد الوليد الجديد أمر لا مفرّ منه، وانه يمكنهم فقط التخفيف من حدة هذه المشاعر[٤٧]. هذا هو دور إعداد الطفل لمجيء هذا الوليد. وإليكم بعض وجوه هذا الإعداد[٤٨].

١ ــ ينبغي إخطار الطفل مسبَقاً بمجيء أخ أو أخت له، مما يوفّر عليه صدمة مفاجئة كاملة. على ان لا يتمّ هذا الإخطار قبل الحدث بفترة طويلة، اذ ان الطفل الصغير لا يسعه ان يقيم حساباً للزمن الطويل. دودسون يعتقد ان شهراً واحداً يكفي، ويقول ان الولد، قبل ذلك الحين، سوف ينبّه على الأرجح الى الحَدَث المرتقب عبر المحادثات التي يسمعها حوله. هذا وينبغي ان نحدّث الولد، ولو كان لا يحسن النطق بعد، عن الطفل المنتظَر. بعض الأمهات يضعنَ يد الولد على بطنهنّ ليتسنى له تحسس حركات الجنين، وهي مبادرة سليمة اذا جرت بشكل طبيعي وكان كل من الأم والطفل مرتاحاً اليها.

٢ ــ يمكن أيضاً أن نطلب من الطفل المساعدة على ترتيب كسوة الوليد وأقمطته، على وضع المهد في مكانه.. ويحسن ان ندعه يلمس هذه الأشياء كلها.

٣ ــ قبل ذهاب الأم الى دار التوليد، ينبغي ان نشرح للطفل بدقة ما سوف يجري ولماذا والدته مضطرة الى مغادرة المنزل. نقول: « هذا ما حصل أيضاً عند ولادتك انت. الماما تحتاج الى مساعدة لولادة الأخ الصغير أو الأخت الصغيرة ». ينبغي ان نعلمه عن عدد أيام غياب الأم، وأن نشرح له أين سوف يكون هو في تلك الفترة، ومن سوف يهتم به، وكيف سيمضي وقته، وكيف سيتمكن من الاتصال هاتفياً بامه، ومتى سيكون مسموحاً له بزيارتها. هذا ويحسن ان نعلّمه كيف يحسب الأيام كي لا يضيع في سياق الزمن. كما انه يُستحسن ان يفرّغ له

الأب مزيداً من الوقت، قدر الإمكان، في غياب أمه.

٤ ــ عند عودة الأم من دار التوليد، ينبغي تحريرها بعض الشيء من عبء العناية بالوليد كي يبقى لها متسع من الوقت تمنحه للطفل الأكبر وكي يتسنى لها ان تشعره انه لا يزال مهماً جداً في نظرها. وينبغي بالطبع ان لا يبدي الأم والأب اهتماماً بالغاً بالمولود الجديد يُشعر الأكبر انه أصبح هامشياً ومهمَلاً، خاصةً وانه يسمع الأقارب والأصدقاء الذين يزورون البيت يعبّرون عن إعجابهم الشديد بظرافة الوليد وعن استلطافهم البالغ له، غير آبهين بالأكبر الذي يحسّ اذ ذاك انه لم يعد يُحسب له حساب وان الأصغر سرق الأضواء كلها. لذا ينبغي للأب والأم ان يخصصا له متسعاً كافياً من الوقت وان يظهرا له الحب والاهتمام. هذا وانه يفضَّل ان تقدَّم له هدية خاصة بمناسبة عودة أمه الى البيت، فتكون بمثابة تعويض عما هو خاسره من تركيز الأم عليه. ويرتأي دودسون ان تقديم الهدية للطفل الأكبر ينبغي ان لا ينتظر عودة الأم من دار التوليد، فيقترح عليها ان تعمد، قبل ذهابها، الى تخبئة بعض الهدايا الصغيرة في مواضع معينة من البيت ثم ان تكلّم الطفل هاتفياً من دار التوليد وتخبره بان بوسعه ان يجد مفاجأة له تنتظره في المكان الفلانيّ. فهذا ما من شأنه أن يخفف من وطأة ترك أمه الاضطراريّ له، وان يُشعره بانها تفكر حقيقة به رغم بعدها عنه.

٥ ــ اذا رغب الولد في حضور عملية إرضاع الطفل الوليد، فليكن له ذلك، والا فلا.

٦ ــ كل ما من شأنه أن يوقظ لدى الولد الشعور بالنبذ أو بفقدان الأمان، ينبغي تجنّبه ــ الا اذا فرضه ضغط ظروف قاهرة ــ عند مجيء الأخ المنافس. فمثلاً ينبغي عدم ارسال الولد في ذلك الوقت، للمرة الأولى، الى دار الحضانة أو الى المدرسة، كما ينبغي ان لا يُستبدل في ذلك الحين سريره وان لا يطرأ تغيير على ما اعتاد عليه...

ثانياً: ان لا نرتاع أمام الغيرة التي يبديها أولادنا

بعض الوالدين يرتاعون امام الغيرة التي يبديها أولادهم لانهم يعتبرون الولد الغيور شريراً يكره أقرب الناس اليه أي أخاه. وقد يقودهم هذا الاعتقاد إلى إنكار كل غيرة عند أولادهم، وكأنهم يشعرون انهم اذا أقروا بوجودها يتلقون طعنة في الصميم اذ يضطرون الى الاعتراف بانهم أنجبوا كائناً شاذاً[٤٩]. ينبغي، على عكس ذلك، ان نعتبر الغيرة ظاهرة طبيعية في حياة الولد، وان ندرك ان مظاهرها السلبية نفسها انما هي عبارة عن معاناة وألم، أكثر منها عن عيب عند الولد[٥٠]، وان كراهية الغيور لمنافسه الأخوي لا تنفي تواجد المحبة له والإنعطاف اليه إلى جانبها، وان الحب الخالص ليس أمراً حاصلاً منذ أول الطريق، انما هو حصيلة مسيرة طويلة متعثرة تنطلق من عشوائية الغريزة في سعيها العفوي الى الإشباع الأناني، وتتدرج عبر مراحل النموّ لتمتد بعد ذلك على مدى العمر، في سعي لا ينتهي الى الاعتراف

بالآخر واعتباره مهماً كالذات وإقامة صلة المشاركة الحقة معه[٥١].

إن عدداً من الوالدين يعتزّون بان ولدهم لا تبدر عنه أية غيرة أخوية، والحق انهم، في كثير من الأحوال، واهمون، يتعامون عن رؤية حقيقة ليسوا مستعدين للاعتراف بها للأسباب التي ذكرناها أعلاه. اما إذا كان الولد لا يبدي فعلاً أي تعبير عن الغيرة الأخوية، فهذا بالاحرى مدعاة للقلق، اذ انه قد يعني ان الغيرة قد كُبتت عنده بالكلية، مما يستتبع تخليدها في النفس وتهديد سلامة الولد النفسية من جراء التمزّق الذي يعاني منه كيانه في العمق.

وإذا كان ارتياع الأهل من الغيرة يدفع بعضهم الى تجاهل وجودها عند ولدهم، فانه يثير عند البعض الآخر ضيقاً شديداً لا تخفى تعابيره عن الولد الغيور. فإذا ما شعر هذا الأخير بوقع غيرته وتأثيرها على والديه، تمسّك بها كأسلوب للفت نظرهما واجتذاب انتباههما اليه، وهو جلّ ما يتمناه في وضعه الراهن. هكذا يكون تأثر الأهل البالغ بغيرته مدعاةً الى تدعيمها فيه خلافاً لما يتمنون. يقول الدكتور رودولف درايكرس بهذا الصدد:

« ... من حيث لا ندري، **نعلّم** الولد أن يكون غيوراً. طالما نحن متأثرون بالغيرة، فالولد يعتبرها مفيدة (...) لن يستخدم الولد الغيرة الا اذا عادت عليه بكسب »[٥٣].

ثالثاً: ان نُشعر الولد بانه مسموح له أن يغار وان يعبّر عن غيرته بشكل معقول

ينبغي اذاً ان نُشعر ولدنا بانه مسموح له ان تنتابه مشاعر عدائية تجاه أخ أو أخت له. يجب ان يحسّ، من خلال كلامنا ومواقفنا، اننا نتفهم تماماً هذه المشاعر[٥٣]. ينبغي الا نردّد أمامه بان لا بد للإخوة والاخوات أن يشعروا بعضهم تجاه بعض بمودة لا تشوبها شائبة[٥٤]، لان هذا غير صحيح ومن شأنه أن يفرض على الولد عبئاً لا طاقة له عليه، فيفشل ويتأذى. مهم جداً ان لا نُشعر الولد باننا نعتبره شريراً لانه عبّر عن شعور عدائي تجاه أخ أو أخت له، وباننا نصنّفه، من جراء ذلك الشعور، مبغضاً لهذه أو ذاك، فهذا الموقف ليس بعيداً عن الانصاف وحسب، انما من شأنه أن يزيد المشكلة تعقيداً عوض ان يساهم في حلّها: فالولد الذي يشعر بان والديه يعتبرانه شريراً لإحساسه بمثل هذه المشاعر العدائية، يُدفَع من جراء ذلك الى التصرف كشرير (لانه، لارتباطه الانفعالي الشديد بوالديه، يتماهى تلقائياً موقفهما منه ونظرتهما اليه)، وبالتالي الى الترسّخ في موقفه العدائي. ثم ان هذا الموقف الوالديّ، خاصة اذا اقترن بتعنيف الغيور ومعاملته بالقسوة والنفور، من شأنه أن يؤدّي الى عكس الغاية المنشودة، إذ يزيد الطفل شعوراً بالإحباط والحرمان وبالتالي يوطّد فيه الاعتقاد الذي هو أساس غيرته، الا وهو شعوره بانه منبوذ لصالح غيره. هكذا نكون كمن يصبّ زيتاً على النار، مُنشئين دوامة يصبح الغيور أسيرها. كل ما في الأمر انه قد

يكبت شعوره العدائي، ولكن هذا يبقى قائماً بكل عنفوانه في العقل الباطن، وقد تتسبب من جراء ذلك للولد كثير من الأزمات النفسية والعلائقية في حياته الحاضرة والمستقبلية. أما إذا شعر الولد بان من حقه ان يعبّر عن عدائه ضمن حدود المعقول، وأحسّ بان والديه يتفهمان هذا العداء، فهذا من شأنه أن يسمح له بان يتخطاه تدريجياً ويغلّب عليه مع الزمن الوجه الثاني من العلاقة الأخوية، وجه المحبة. ويقول المحلل النفسي الاميركي ادموند زيمان بهذا الصدد: « ينبغي (...) ان ندع كل ولد يعيش غيرته، فسيأتي وقت تختفي فيه فيستطيع الاولاد ان يتحابوا بودّ »(٥٥).

● يذكر الدكتور اندره برج مقالاً للمحللة النفسية الفرنسية الدكتورة فرنسواز دولتو تروي فيه كيف تصرفت احدى الأمهات لتهدئة مشاعر الغيرة التي كانت تعتري ولدها البكر حيال أخ أصغر كان قد وُلد منذ فترة وجيزة. فقد كانت هذه الأم، فيما تعتني بالمولود الجديد وتلاطفه، تقرن سلوكها هذا بعبارات قدح وتضجّر تطلقها، مع ذلك، بنبرة حنونة، فتقول ما معناه: « آه، ليس هو بالأمر المسلّي أن يهتمّ المرء بشيء صغير بشع كهذا، لا يعرف سوى أن يبول ويغوط في أقمطته... انه لا ينفع شيئاً. حقاً ينبغي للمرء أن يكون أماً ليقبل بمثل هذه السخرة ». وقد كانت الأم تعكس على هذا المنوال ازدواجية المشاعر لدى ولدها الغيور، وتساعده بالتالي على مواجهة هذه الازدواجية والتعاطي معها بارتياح، بحيث يحتمل وجود المشاعر العدائية في نفسه على منوال احتمال الام لها، فيتسنى له بالتالي مراقبتها وضبطها

وعزلها عن مجال أفعاله وإقرانها بمشاعر المودة كما رأى الأم تتصرف[٥٦].

● وينقل لنا الدكتور دودسون خبرة أم واجهت غيرة ابنها البالغ من العمر ١٧ شهراً عندما وُلدت له أخت. عندما عادت الأم مع الأخت الوليدة من دار التوليد، نظر اليها الطفل وكأنها غريبة وأجهش بالبكاء عندما حمل الأب الأخت لينقلها من السيارة الى البيت. وذات مرة تقدم بتصميم نحو المولودة الجديدة يهمّ بضربها، وكأنه يودّ سحق تلك الكتلة الصغيرة المؤذية، وبدا، فيما كان يتقدم نحوها، تعيساً جداً لما كان عازماً على القيام به، وأجهش بالبكاء قائلاً : « لا، لا ! »، ومع ذلك تابع التقدم، مما يشير الى حدة الصراع الداخليّ الذي كان يعيشه. وفي أحد الأيام، وكان قد مضى اسبوع على عودة الأم، كانت هذه تقمّط الأخت الصغيرة وكان ولدها الأكبر ينظر اليها، محمولاً على ذراعَي جدته. وإذا بالطفلة تصدر ثغثغة خفيفة. فقلّدت الأم هذا الصوت وقالت لابنها: « هذه الطفلة تقول حماقات ! » وللحال بدت على وجه الصبي ابتسامة عريضة وقال بدوره « حماقات ! » ولا بد انه اكتشف عند ذاك ان أمه انما هي من جانبه، وانهما كانا معاً، يشاركان كلاهما في الضحك من الطفلة. ومنذ ذلك الحين زالت عملياً مشكلة الصبي[٥٧].

هذا التفهّم الذي يبديه الأهل للولد الغيور ولمشاعره السلبية، كفيل بان يؤكد له انه محبوب، وانه بالتالي ذو قيمة، فيتسنى له، من جراء ذلك، أن يحبّ نفسه ويثق بها ويتمتع بالأمان،

وهذا ما يخوّله، انطلاقاً من هذا الاطمئنان الصميم الى نفسه ووضعه، ان يُقدِم على تخطي ذاته باتجاه « الدخيل » الوافد اليه. تقول الاخصائية النفسية الألمانية مارلين لايست:

« ... ان ولداً لا يحب نفسه، ولا يعرف نفسه محبوباً، ويشكّ بانه نافع لشيء ما، ولا يرتاح الى ذاته، ان ولداً كهذا عاجز كلياً عن محبة أخيه (...) انه مضطر ان يدافع عن نفسه ضد مطالبات هذا الأخير. انه مضطر على الحرص بان تكون حياته الصغيرة المسكينة محمية منه. فقط عندما يكون واثقاً كلياً من نفسه، يُتاح له ان يتخلص من الشعور بانه مهاجَمٌ من كل صوب، وان يتجه عند الاقتضاء الى الآخر ويقبله ويدعمه في نمط وجوده الذاتيّ؛ فقط عند ذاك يمكنه ان يحبه »[٥٨].

يقول الدكتور رودولف درايكرس ان الأم، اذا رأت ولدها يسيءُ التصرف بانقياده وراء الغيرة، يمكنها ــ مع ان هذا ليس بالأمر اليسير، ولكن من قال ان ممارسة المهمة الوالدية هو أمر يسير؟ ــ يمكن لهذه الأمّ أن تقبّل ولدها وتقول: « انني أفهمك ». ويوضح ان الولد، اذا ما شعر بالتفهّم الوالديّ له وبانه قد « وصله حقّه » من جراء هذا التفهم، يصبح بالمقابل اكثر استعداداً لإعادة النظر في مواقفه الذاتية وللانتباه الى حقوق سواه[٥٩].

هذا واذا شئنا ان يزداد لدى ولدنا الشعور بأننا نتفهم حقاً مشاعره السلبية، وبالتالي باننا نقبله ونحبه كما هو، يُستحسن ان نلجأ ــ كما يوصي المعالج النفسي والمربي الاميركي الدكتور

دودسون ــ الى أسلوب « المفعول الارتجاعيّ » (feed - back) الذي أطلقه المعالج النفسي الكبير كارل روجرز، أي ان نعيد على مسامع الولد صياغة ما يعتريه من مشاعر، للتدليل على تفهمنا له. يقول دودسون انه من الضروري ان نسمح للولد بالتعبير عن مشاعره اللاإجتماعية مع تحريمنا له ترجمتها الى أعمال. فالأعمال يمكن للطفل أن يتعلم ضبطها، في حين ان المشاعر تفلت من رقابة ارادته: فهو لا يستطيع ان يغيّرها أو يطردها كما يريد، وهذا ينطبق على كل الفترة الممتدة حتى عتبة الرشد. فإذا ما حرّمنا على أولادنا التعبير عن مشاعرهم لا يبقى لهم سبيل آخر الا كبتها أي ابعادها عن دائرة الوعي بعملية دفاعية غريزية تسمح بتجاهل وجودها، ولكن المشاعر المكبوتة هذه لا تتلاشى بل تبقى على حالها وعلى عنفوانها مستترة في العقل الباطن وتحدث انقساماً في الشخصية قد يلحق الأذى بصحتها وتوازنها عاجلاً ام آجلاً. فالمصاب مثلاً بقرحة في المعدة أو الامعاء قد يعاني من مشاعر مكبوتة لم تجد متنفساً للتعبير عن ذاتها الا عن طريق هذا العَرَض الجسدي، فإذا ما تعلم أن يعبّر عنها لفظياً في سياق العلاج النفسيّ تحرّر عادة من قرحته اذ لم يعد لها من مبرر. من هنا، يقول دودسون، ضرورة تدريب أولادنا على التعبير عن مشاعرهم فيما لا يزالون طريّي العود حتى تزداد فرصهم بان يصبحوا يوماً ما راشدين يتمتعون بحسن التوازن النفسيّ. وإذا لم نكتفِ بالسماح للولد بالتعبير عن مشاعره السلبية بل أرجعنا له صدى هذه المشاعر بإعادة صياغتها لفظياً على مسامعه (مثلاً: « انك غاضب على

أخيك، انك تعتقد ان الماما تحبه اكثر منك »)، أيقظنا في نفسه هذا اليقين المنعش باننا نتفهمه ونقبله، وذلك حتى لو اضطررنا الى منعه بالقوة من ترجمة هذه المشاعر إلى حيز الأفعال. ويقدم لنا دودسون نموذجاً معبّراً لاستعماله شخصياً هذا الاسلوب ذات مرة مع ابنه البالغ آنذاك سنتين أو سنتين ونصف من العمر(٦٠).

رابعاً: مجالات التنفيس المعقول عن الغيرة

هذا التعبير المعقول عن الغيرة، اذا أفسَحنا له المجال بموقفنا المتفهم المتسامح، يشكّل تنفيساً عن النزعة العدوانية المتوثبة في نفس الولد حيال منافسه. ولا بدّ من هذا التنفيس كي تخفّ حدّة هذه النزعة ولكي يصبح الولد قادراً بالتالي ان يتعاطى معها دون كبت مفرط، فيضبطها تدريجياً ويسمو بها نحو الاشكال المقبولة التي سبق أن أشرنا اليها، من منافسة سليمة وحماية للاصغر والأضعف وتأكيد للتمايز وإقبال على النموّ. هذا التنفيس المشروع يتخذ شكلين يختلفان باختلاف عمر الولد.

١ ــ عند الطفل الصغير: الأعمال التعبيرية الرمزية

فالطفل الصغير الذي لا يحسن الكلام بعد يستطيع أن يلجأ الى أعمال رمزية يعبّر بها عن غيرته.

● ولنذكر على سبيل المثال بهذا الصدد ما ترويه الاخصائية

النفسية سلما فرايبرغ عن طفل تطلق عليه اسم لاوري كان له من العمر سنتان وأربعة أشهر عندما وُلدت له أخت. كان والداه قد أعدّاه لمجيء الطفل الجديد، وكان يعرف ان الطفل موجود في جوفِ الام وانه سيخرج منه في يوم من الأيام. الا ان هذه التهيئة الكلامية، على أهميتها، لا تكفي وحدها لإعداد الطفل لمواجهة واقع المولود الجديد. خاصة وان ولادة الاخت رافقها، في ما يتعلق بلاوري، غياب الوالدة عنه لفترة اسبوع قضتها بعيداً عنه في دار التوليد. وكانت هذه أطول فترة فراق عن أمه خبرها لاوري حتى ذلك الحين. فلما عادت والدته ومعها الطفلة الجديدة، كان لا بدّ له ان يشعر وكأن أمه تخلّت عنه لتنصرف الى ولد آخر وتمنحه حبها.

مع ذلك بذل لاوري في الأسابيع الاولى مجهوداً كبيراً ليتقبل أخته. وكان يحاول أن يجاري الكبار في إعجابهم بالمولودة الجديدة، كما انه كان يساعد على الاعتناء بها. ولكن الصراع الذي كان يدور في نفسه بين الحب والكراهية كان أحياناً لا يُطاق بحيث انه عندما كان يعانق الطفلة هامساً لها بكلمات رقيقة، كان مأزمه الداخليّ يدفعه الى عصرها عصراً بين ذراعيه. وكان العدوان يغلب أحياناً فيقرص لاوري الطفلة أو يضربها أو يهددها بعصا أو بأحد مكعباته.

وكان الوالدان يتفهمان مشاعر لاوري، الا انه لم يكن بوسعهما بالطبع ان يسمحا له بإيذاء الطفلة. لذا أفهماه ذلك بحزم وأبديا له استياءَهما من هذا النوع من السلوك عندما كان يصدر عنه.

فكانت النتيجة أن بذل لاوري جهوداً بطولية ليضبط ذاته في علاقاته بالطفلة، ولكن هذه الجهود (التي لم تكن دوماً تكلَّل بالنجاح) أدّت إلى ظهور سورات من الغضب الذي لا مبرّر له كانت تتكرر عشرات المرات في اليوم الواحد. هكذا تحوّلَت طباع لاوري، بحيث انه بعد أن كان لأسابيع خلت مَرِحاً وهنيء العيش أصبح غضوباً ورافضاً. كان لا بدّ للاوري ان يعبّر عن المشاعر العنيفة التي كانت تنتابه، ولكنه لم يكن قادراً على التعبير عنها بالكلام لان قدرته على التعبير اللفظي في ذلك العمر كانت محدودة جداً. لذا اقترحت سلما فرايبرغ على والديه ان يشتريا له قرداً من البلاستيك المنفوخ، سُمّي بنشو، بحيث يصبح بنشو هذا الهدف البديل للتنفيس عن عدوانية لاوري. وقد تمّ ذلك بالفعل وأُفهم لاوري ان بوسعه ان يضرب بنشو في حال غضبه، انما لا يمكن السماح له بضرب الطفلة. إلا ان لاوري لم يقبل في بادئ الأمر ان يصبّ عدوانه على رفيقه الجديد بنشو، بل كان يلاطفه ويعتبره صديقاً له. فصبر الأهل على هذا الوضع وكانوا، كلما حاول الطفل ضرب اخته، يفسرون له مجدداً انه، في حال الغضب، يستطيع ان يضرب بنشو وليس الأخت الصغيرة. وكان، بعد حوالي أسبوعين، أن بردت محبة لاوري للعبة الجديدة وأصبح بالتالي بامكانه ان يتخذها هدفاً لعدوانه بدلاً عن أخته. وهذا ما حصل فعلاً، فأُتلفت اللعبة في فترة بضعة أسابيع بفعل ما مارسه لاوري عليها من عدوان، ولكن الطفل، بالمقابل، انقطع عن التعرض لاخته، كما ان سورات غضبه انخفض عددها. ذلك ان الشحنة العدوانية كانت قد وُظفت

بمعظمها في العدوان الرمزي الذي استهدف بنشو، وما تبقى منها كان كمية معقولة يسهل ضبطها ومراقبتها[٦١].

● وينقل لنا الدكتور دودسون ملاحظة للدكتورة روث مرتاي Ruth Marthey عن طفلة تُدعى ماري كان لها من العمر ثلاث سنوات عندما وُلد لها أخ. وكان لماري دمية أطلقت عليها عندئذٍ بالحال اسم « انطوان » وهو اسم أخيها. ومنذ اليوم الذي عاد فيه انطوان الحقيقي من دار التوليد، بدأت لعبة ماري المفضَّلة، الا وهي ضرب « انطوان ». وكانت تجد دوماً لهذه المعاملة مبررات: فقد كان « انطوان » سيئاً، كان يكسر الصحون، كان يبكي أثناء الليل. اما حيال انطوان الحقيقي فكانت ماري تبدي رقة ومشاعر أمومية. فقد كانت الدمية كافية للتنفيس عن شعورها بالغيرة وتحريرها بالتالي منه[٦٢]. وإذا شئنا دقة أوفر في التحليل، قلنا ان ازدواجية المشاعر المتناقضة، التي تتسم بها الغيرة، خضعت هنا لعملية « انشطار » (Clivage, Splitting)[٦٣]، عبر توزيعها على موضوعين مختلفين يمثل أحدهما (وهو الطفل الوليد الحقيقي) الوجه المحبَّب، والثاني (وهو الدمية) الوجه المكروه للمنافس الأخويّ، بحيث امتصّت الدمية جانب الكراهية والعداء، مما سمح بتوجيه مشاعر الودّ نقية خالصة الى الأخ الفعلي.

● وفي نفس الموضوع، يذكر الدكتور مصطفى حجازي ما تعرضه المحللة النفسية الفرنسية مود مانّوني عن « حالة الطفل جان الذي استجاب في اليوم الحادي والعشرين لميلاد أخ أصغر، بالضيق والتبرّم والبوال والغواط والتأتأة. ولقد تلاشت هذه

الأعراض بمقدار التعبير عن عدوانيته وغيرته، وذلك بعد ان وضع الطفل دمية من مطاط اسمها جيشا (نفس اسم الاخ) في سرير الخادمة. سحل الدمية امام الأم جاعلاً منها شريكاً متواطئاً في القتل (الرمزي) للأخ الذي احتلّ مكانه. بعد السحل أظهر الطفل رقةً تجاه الموضوع الذي هاجمه ثم تجاه الأخ »[٦٤]. في هذه الحال تقبّلت الأم الرسالة العدائية التي كانت قبل ذلك متسترة وراء الأعراض، وهكذا اذ استطاع الولد ان يفصح لها عن عدوانيته تجاه منافسه، لم يعد محتاجاً إلى قناع يخفيها وراءَه، فزالت بالتالي أعراضه التي كانت تلعب دور هذا القناع (الذي يظهر ويحجب بآن)، كما وانه استطاع ان يبرز الوجه الثاني من علاقته بأخيه، الا وهو وجه المحبة.

٢ ــ عند الطفل الأكبر: التعبير اللفظي

أما الطفل الذي اكتسب القدرة الكافية على التعبير الكلامي، فينبغي تشجيعه على اللجوء الى هذه الوسيلة للإفصاح عما يعتريه من نزعة عدائية تجاه منافسه الأخويّ. فإن هذا التعبير الكلاميّ، الذي كثيراً ما يضطرب لعنفه الأهل ويستنكرونه أو يحاولون تجاهله، له الفضل بان يكون متنفساً يغني الولد عن ترجمة عدائه بالأفعال[٦٥]، وبسبب ذلك فهو مرحلة من مراحل التقدم والنمو الانسانيين، إن على صعيد الفرد أو على صعيد النوع، لانه تلطيف للتعابير الغريزية وضبط لها يحفظها ضمن حدود المقتضيات الاجتماعية والحضارية. وقد قال فرويد بهذا الصدد: « ان الانسان الذي، لاول مرة، قذف عدوه بكلمة شتيمة عوض

ان يرميه بحربة، كان مؤسس الحضارة »[٦٦]. ثم ان هذا التعبير الكلاميّ، على حدّته وعنفه، من شأنه ان ينتقل بالإندفاع العدواني الغريزي، من صعيد التنفيذ الفوري إلى صعيد الوعي الذهنيّ، فيساعد الولد بالتالي على إعمال الفكر فيه وضبطه بالارادة.

وقد اثبتت دراسات ميدانية ان التعابير العدوانية الجسدية تتناقص لدى الاولاد، مع تقدمهم في العمر، لصالح العدوان اللفظيّ. ففي مجموعة من ٤٠ طفلاً تتراوح اعمارهم بين سنتين وشهر وخمس سنوات كانوا ينصرفون معاً إلى ألعاب حرة، لوحظ ان المشاجرات الجسدية غالبة في فترة ٢ ــ ٣ سنوات بينما المشاجرات الكلامية غالبة في فترة ٤ ــ ٥ سنوات. مما يثبت « ان الولد كلما تعلّم ان يعبّر بالكلام عن انفعالاته يستبدل تدريجياً تعابيره الجسدية عن العدوانية بمضامين كلامية »[٦٧].

لذا تقترح سلما فرايبرغ ان يقول الأهل للولد الغيور: « لا أريد ان أدعك تؤذي الطفل، انما عندما تكون غاضباً عليه، يمكنك ان تحدثني بالأمر ». بحيث يتشجع الولد على ان يصارح والدته بعبارات من النمط التالي: « انك تحبينه اكثر مني » أو « أريد ان يرحل. لا أريد أخاً صغيراً (أو أختاً صغيرة) لي »، او ان يعبّر بالكلام عن مشاعر مدمّرة قائلاً على سبيل المثال: « أودّ لو انه كان (أو كانت) نملة. اذاً لاستطعت ان أسحقه (أو أسحقها) ». على هذا المنوال يتحرر الولد من مشاعره الأليمة ورغباته العدائية بالتعبير عنها، كما ان حاجته الى القيام بأعمال غيورة ومدمّرة تتناقص عندما يعبّر عن هذه الحاجة بالكلام.

« فالكلمات تقوم مقام الأفعال، ويمنح التعبير الكلاميّ عموماً للولد راحة نفسية تكفي لتحول دون قيامه بأعمال عدائية ضد الطفل الصغير »[٦٨].

● ولنذكر هنا نموذجاً عن سلوك والديّ سليم يورده لنا الدكتور اندره أرتوس. يروي ان ابن أحد أصدقائه قال مرة لوالده: « اذا احترق البيت، سأُخرج منه الأثاث ولكنني سأدع سيمون تحترق ». وكانت سيمون هذه أخته البالغة من العمر أربعة أعوام بينما كان للصبي ست سنوات. فأجاب الوالد بهدوء: « لقد أحسنتَ بانك أنذرتني، هكذا سيتسنى لي الاهتمام بها بنفسي طالما انني لا أستطيع أن أعتمد عليك بهذا الشأن ». كان واضحاً ان الطفل كان يتوقع ردّ فعل عنيف على عباراته العدائية، ولكنه فوجئ بما أحدثه من أثر قليل. وأضاف الوالد: « لست مجبراً بأن تحبها لمجرد كونها أختك، كل ما أطلبه منك هو ان لا تؤذيها وأن تدعها تعيش بسلام ».

هكذا لم يشأ الوالد أن يتصرف كما يفعل كثيرون غيره فيقول للولد انه يتوجّب عليه ان يحبّ أخته (كما لو كان شعور المودّة يمكن ان يأتي بالفرض)، بل تقبّل بصفاء وتفهّم مشاعره العدوانية، مدركاً ان السماح له بالتنفيس عنها انما هو الطريق الذي من شأنه أن يؤدي الى تغليب المحبة تدريجياً على العداء في نفس ولده الأكبر[٦٩].

على نقيض ذلك، نجد، للأسف، سلوك معظم الأهل كما يلاحظه الدكتور دودسون اذ يقول:

« كي يكون لهم اولاد يتمتعون بالسلامة النفسية (...)، ينبغي للأهل أن يَدَعوهم يعبّرون عن مشاعرهم. ولكن الواقع يأتي للأسف مخالفاً جداً لذلك، إذ ان معظم الأهل لا يسمحون لاولادهم بهذا التعبير.

ولنأخذ مثلاً بين مئات. فاجأتُ ذات مرة هذه المحادثة في حديقة عامة: كانت أم مع ولديها، وهما صبي له حوالي ست سنوات وبنت ذات أربع سنوات. وكان الصبي يبدو غاضباً جداً على اخته، وكان يقول: « أكرهكِ، يا سوزي ». أتعتقدون ان الأم قالت: « تومّي، إشرح لنا ما أنت شاعر به، قل لأختك ما الذي يحصل » ؟ كلا. بل انها قالت له بالفعل: « هيا، يا توم، ان لك اختاً لطيفة: انك لا تكرهها، بل تحبها ». والحال ان هذا كذب، والصبي الصغير يعرف ذلك جيداً. والأم، بكلامها هذا، هي بصدد تحويله عن (حقيقة) مشاعره. طبعاً ليس وارداً أن تتمكن فعلاً من تحويل الغضب الذي يشعر به ضد أخته. كل ما يمكن ان تنجح في فعله هو ان تعلمه ان يتخذ موقف كذب تجاه ما يشعر به، يمكنها ان تعلمه ان « يدفن نزواته »، بحيث تظهر لاحقاً بشكل متستر: فمثلاً سوف يضرب أخته عندما يكون بمأمن من نظر أمه ».

ويضيف الكاتب:

« لماذا يقف الوالدون هذا الموقف ؟ لماذا لا نسمح لاولادنا ان يعبّروا (...) عن مشاعرهم السلبية ؟ السبب بسيط جداً، على الأرجح عندما كنا نحن اولاداً لم يكن باستطاعتنا نحن

أيضاً، ان نبرزها إلى الخارج. وهكذا، فبدون ان نقصد، ننقل الى اولادنا نفس الكفّ inhibition (والكف هو إعاقة باطنية لحرية التعبير: ك.ب.) النفسيّ (الذي تعرضنا له) ».

ويبيّن دودسون النتائج المؤذية لهذا الكفّ:

ــ فلو سُمح للولد أن يعبّر عن مشاعره السلبية، لَتَحرّر منها وطردها من نفسه وسمح بالتالي للمشاعر الإيجابية ان تبرز. « اذا لم نسمح له بأن يطرح الغضب والعداء خارجاً، فلن تجد المحبة والمودة لهما مكاناً ».

ــ ثم ان الطفل الصغير لا يحسن التمييز بين المشاعر السلبية والمشاعر الايجابية. فإذا ما اضطر الى كبت الاولى نتيجة تحريم الأهل له التعبير عنها، فان هذا الكبت يمتدّ ليعمّ المشاعر كلها بما فيها الايجابية منها. فإذا علّمنا الطفل ان يكبت مشاعره العدائية فهذا ما قد ينتهي به الى كبت المشاعر الودية نفسها. فقد يصبح بليد المشاعر لانه تعلّم ان يحتمي من مشاعره وان يعتبرها خَطِرَة.

ــ كما ان كبت المشاعر من شأنه أن يشيع القلق في نفس الولد وان يمهّد الطريق للاضطراب النفسي (العصاب).

اما التعبير الحرّ عن **المشاعر** السلبية، فهو يمنح الطفل تنفيساً يسهّل عليه الامتناع عن **الاعمال** المؤذية: « اذا سمحتم له بان يقول لأخيه انه يكرهه، فسوف يكون من الأيسر عليه ان يكفّ رغبته العميقة بضربه او بالاستيلاء على ألعابه ».

لهذه الاعتبارات يوصي دودسون بان يُسمح للطفل بين ٣

و٦ سنوات ان يعبّر بحرية عن كل مشاعره، حسنة كانت أو سيئة، بكلمات. اما ابتداءً من عمر الست سنوات، فيمكن تدريبه على ضبط التعبير اللفظيّ عن مشاعره مراعاةً لمشاعر الآخرين وتجنباً للمتاعب[٧٠].

٣ ــ عرض حالة: إيزابيل (٩ سنوات) أو التعبير المحرِّر

هذا وعن أهمية التعبير الكلاميّ عن الغيرة المكبوتة، من أجل تحرير الولد من مأزق نفسي يعكّر صفو حياته ويزرع الاضطراب في شخصيته، نورد هذه الحالة التي تعرضها اخصائية فرنسية في العلاج النفسي وفي التربية الدينية، هي نيكول فابر. تقول:

● بعد حلقة تربية دينية جرى فيها الحديث عن اعتقال يسوع المسيح وموته وقيامته، دُعي الاولاد المشاركون فيها الى رسم ما استلفت اهتمامهم في الحديث. وإذا بفتاة تُدعى إيزابيل، لها ٩ سنوات من العمر، كانت تتميز بإثارتها المشاكل في الفريق، اذا بها تبدي حركات مضطربة ثم تنادي امرأة شابة من المولجات بالتربية الدينية وتسألها ان كان بإمكانها أن ترسم يهوذا (وهو التلميذ الذي خان يسوع وأسلمه) عندما شنق نفسه. فأبدت المربية دهشتها اذ لم يؤتَ على ذكر تلك الحادثة في معرض الحلقة. ولكن الفتاة أكدت فكرتها: « نعم، يهوذا عندما شنق نفسه. وحيداً، مع كل قِطَع النقود التي سرقها، مطروحة على الأرض، ومع امعائه المعلّقة أيضاً... ». ثم توقفت فجأةً وسألت: « هل لك أخت، انتِ ؟ »، ثم أضافت: « اما انا، فان

اختي... ». فسألتها المربية: « ماذا بشأن أختك ؟ ». قالت: « أما أختي، فأكرهها، لا أطيق رؤيتها، أود أحياناً لو أراها... ميتة !... ».

هكذا فإن إيزابيل تماهت بيهوذا الذي أذنب بتسببه بموت يسوع. ذلك انه كان لها أخت أُصيبت بإعاقة خطيرة واستقطبت منذ ذلك الحين اهتمام المحيط العائلي، فكان كل واحد يدلّلها ويبدي اعجابه بصبرها على بؤسها الجسديّ، ويعتبرها « قديسة صغيرة »، و« حَمَلاً صغيراً »، شبيهاً بيسوع المصلوب. وبتأثير ذلك شعرت ايزابيل انه قد تُخلي عنها هي وانها لم تعد محبوبة، فتيقظت لديها غيرة من أختها التي اجتذبت لنفسها حب الوالدة، وأثارت فيها هذه الغيرة رغبة بموت الأخت. وقد خُيِّل لايزابيل ــ بموجب المنطق الخاص، البدائي والسُحريّ، الذي يتحكم بالعقل الباطن ــ ان هذه الرغبة قد تحققت فعلاً عِبْرَ الإعاقة التي أصابت الأخت. من هنا الشعور الحادّ بالذنب لدى ايزابيل وتماهيها بيهوذا قاتلاً نفسه لانه نجح في قتل يسوع، يسوع الذي رأينا ان الأخت الصابرة كانت تشبَّه به (ولنلاحظ ان ايزابيل سرقت، ولا بدّ، شيئاً من المال، بمثابة تعويض عن إحباطها، من هنا ذكر القِطَع النقدية التي سرقها يهوذا). ولم تكن ايزابيل قد التقطت عبرة غفران يسوع للص التائب الذي صُلب معه، لانها كانت تشعر نفسها عاجزة عن التوبة، اذ كان قلبها يغلي بالحقد حيال منافستها وكانت تردّ ضد نفسها مشاعرها الذاتية، فتكره نفسها كرهاً موازياً لكراهيتها لاختها.

طيلة أسابيع عدّة، كان للمسؤولة عن التربية الدينية محادثات أجرتها على حدة مع إيزابيل في إحدى زوايا قاعة التربية الدينية. وقد تمكّنت الفتاة، عبر هذه المحادثات، من التعبير عن كراهيتها، في المكان نفسه الذي يُحكى فيه عن الحب، اذ سُمح لها أخيراً بذلك. وأتيح لها بالتالي أن تتفهم هذه الكراهية، ان تسلّم بوجودها فيها؛ وبمقدار مواجهتها لكراهيتها على هذا المنوال، تسنى لها أيضاً ان تليّنها، ان تلطّفها بالمحبة التي كانت تشعر بها بآن معاً نحو أختها، وان تخرج بذلك من المأزق الذي كانت تتخبط فيه طالما بقيت غيرتها جسماً غريباً ومعزولاً، مستتراً في عتمات نفسها، ينفث من هناك سمومه في سائر شخصيتها[٧١].

خامساً: تأكيد حبنا للولد الأكبر

وبصدد معالجة الغيرة الأخوية، ينبغي أن نؤكد للولد الأكبر ان حبنا لا يزال ينصبّ عليه كما في السابق بعد ولادة الطفل الجديد. وهذا ما يتمّ من خلال الإكثار من تعابير الحنان الموجهة اليه، بحيث يستعيد طمأنينته التي تزعزعت من جراء ما أحدثته الولادة الجديدة من تغييرات جذرية في عاداته المعيشية المألوفة وفي وضعه العائلي[٧٢]. ان عودة الطمأنينة الى نفس الولد الأكبر من شأنها أن تخفف من حدة غيرته، المرتبطة كما رأينا بمشاعر الإحباط والحرمان، وان تساعده بالتالي على تغليب المحبة على العداء في علاقته بأخيه الأصغر.

• وهاك مثال على ذلك يقدمه لنا الدكتور أندره أرتوس،

اذ يروي لنا قصة صبي له من العمر خمس سنوات وُلدت له أخت صغيرة. زار الولد أمه في دار التوليد وشاهد تلك الأخت، وبدا في تلك المناسبة ظاهر الرضى، وقد يكون ذلك عائداً، كما يشير الكاتب، الى لقياه لأمه بعد غياب قصير أكثر منه إلى مشاهدته لأخته. ثم ان الأم عادت بالأخت الى البيت. وذات يوم عاد الأخ الأكبر من المدرسة فوجد الطفلة ترضع من ثدي امها، ورأى الأم تشير اليه بان لا يقترب كثيراً كي لا يعكّر عملية الإرضاع هذه. فثارت كرامته وانتصب امام الثنائي معلناً بصوت جهوريّ: « كل هؤلاء الأطفال الصغار، ينبغي رميهم في القمامة ». فلو أنّبت الأم ولدها على كلامه هذا، لكانت رسّخت لديه الاعتقاد بانه قد نُبذ لصالح اخته. ولكنها كانت متوقعة لرد الفعل الذي صدر عنه، فلم تُبدِ أي ردّ فعل بالمقابل. كل ما في الأمر انها، بعد أن انتهت من إرضاع الطفلة، ذهبت الى الغرفة الاخرى حيث كان يلعب ولدها الأكبر بهدوء، فقبّلته بحنان كبير دون ان تنبس بكلمة. عند ذاك أقبل هذا الأخ الأكبر تلقائياً الى المهد وقبّل بدوره يد أخته الصغرى. وانتهى الأمر على هذا المنوال[٧٣].

هذا ما يدعم ملاحظة الدكتور رودولف درايكرس التي أوردناها في الفصل الثالث ــ ثالثاً ــ المقطع ٦.

سادساً: مساعدة الأخ الأكبر على تقبّل الكِبَر

ينبغي أيضاً أن نساعد الأخ الأكبر على تخطي حنينه الى

« امتيازات » الصِغَر وعلى تقبّل الكِبَر وما يقتضيه من اتجاه نحو المستقبل. وذلك يكون:

١ ــ بأن نسمح له، اذا شاء، بان يعود الى الوراء مرحلياً،

فيشبع الى حين نزعته الى التقهقر للتماهي بالمنافس الذي أضحى مركز الاهتمام، ويجني من هذا الإشباع قوة على متابعة المسيرة. فكأنه، بهذا التراجع، يتحفز للقفز، حسب التعبير الشائع لدى الفرنسيين: Reculer pour mieux sauter.

● يروي د. دودسون ان ابنته البكر كان لها ٦ سنوات من العمر عندما وُلد لها أخ. وكان الوالدان يتوقعان أن ترغب في العودة الى وضع الرضيع، وهذا ما حصل فعلاً، اذ طلبت رضّاعة. فاستجاب الوالدان لطلبها. ولفترة أربعة أيام أو خمسة شربت الكوكا كولا أو عصير البرتقال في رضّاعة. ولكنها بعد مضيّ هذه الأيام، تخلت تلقائياً عن الرضّاعة، ولسان حالها يقول: « لم أعد بحاجة إلى ذلك. اعتقد انه، في آخر المطاف، ليس أمراً ممتعاً بهذا المقدار ان يكون المرء رضيعاً وأن يشرب في رضّاعة ! ». وقد أعاد الوالدان الاختبار نفسه عندما بلغ ابنهما ٦ سنوات ووُلد له أخ. ففي هذه المرة أيضاً عاد الأكبر القهقرى لفترة من الزمن ثم تخلى عن نكوصه بعدما أشبع رغبته المؤقتة في العودة إلى مواقع أكثر طفولية[٧٤].

وقد يطاوع الوالدون رغبة ولدهم المؤقتة في النكوص ويحرصون بآن معاً على مساعدته في اكتشاف ما يخسره من

جراء هذا التراجع. وهاك مثل عما نحن بصدده نأخذه عن الدكتور درايكرس:

● « بيت » Beth طفلة لها ٣ سنوات من العمر، وهي ظريفة، تجلب الفرح لقلب والديها. وقد كان نموّها سريعاً: مشت عندما كان عمرها سنة، ونطقت بوضوح عندما بلغت السنتين، واكتسبت النظافة الكاملة عندما كان لها من العمر ١٨ شهراً. وقد وُلد لها أخ قبل أن تبلغ الثالثة من العمر بشهرين. في الأسابيع الثلاثة الاولى كانت مهتمة جداً بالوليد وكانت تلاحظ أمها أثناء عنايتها به، وكانت تعرض على الأم مساعدتها، ولكن الأم كانت في كل مرة ترفض بلطف انما بحزم. عند ذاك تحوّل اهتمام « بيت » تدريجياً عن الطفل ولم تعد تقصد ان تراه. وبعد فترة قليلة بدأت تبول في ثيابها، وكأنها شاءت ان تعود طفلة رضيعة لتستعيد المكانة التي اعتقدت انها خسرتها عندما رأت الأم منهمكة بأخيها الرضيع.

يقترح الدكتور درايكرس، لمعالجة هذه الحالة، أن تطاوع الأم مؤقتاً رغبة طفلتها في النكوص، فتقمطّها كالرضّع طالما انها، مثلهم، لم تعد تراقب عملية التبويل. هكذا تشبع « بيت » رغبتها في أن يُعتنى بها كما يُعتنى بأخيها الرضيع. ولكن، اذا ما رغبت « بيت » ذات يوم أن ترسم، وطلبت من أمها أن تعطيها أقلام تلوين، أجابت الأم: « الرضيع لا يعرف أن يلوِّن ». هكذا تكتشف « بيت » ان وضع الرضيع تكتنفه نواقص وانه يحرمها من نشاطات تستمتع بها في عمرها، فتصرخ بحدّة انها

بنت كبيرة وانها لا تريد أن تكون رضيعاً في ما بعد: فتقول لها الأمّ حينذاك: « أتشعرين نفسك كبيرة بما فيه الكفاية لتساعدي أخاك الصغير الذي لا يعرف أن يعمل لوحده شيئاً ؟ ». هكذا تستعيد « بيت » موقعها الطبيعي وتتعاون مع امها في العناية بالرضيع[٧٥]. (وهذا، برأينا، ما اخطأت الأم في حجبه عنها، فحرمتها بذلك من سبيل لتخطّي الغيرة بالتحول إلى حماية المنافس، وقد سبق ان ذكرنا هذا السبيل في الفصل الثاني ــ ثانياً ــ المقطع ٣).

٢ ــ بأن لا ننفّره من الكِبَر بمقارناتنا

من جهة اخرى ينبغي ان لا ننفّره من الكِبَر بسبب ما نجريه من مقارنة بينه وبين الصغير، لصالح هذا الأخير[٧٦]. ان هذا النوع من المقارنة ينزلق اليه الأهل في أحيان ليست بقليلة، عندما يقابلون بين الطفل المولود حديثاً، الذي لا يزال الى حد بعيد مطواعاً لهم، وبين الأخ الأكبر الذي كثيراً ما يكون، عند ولادة المنافس، قد دخل في مرحلة الحركة الدائمة والاستكشاف وتأكيد الذات واختبار القدرات، وما يرافق كل ذلك من ضجيج وإخلال بترتيب البيت وعناد ومعاكسة، هي نتائج طبيعية لتطور الولد نحو مزيد من النموّ ولكنها مزعجة بالطبع للأهل، مما يحملهم الى نعت هذه المرحلة بـ « سنّ الغلاظة » (وهي تسمية غير منصفة كما نرى). وقد تزداد هذه « الغلاظة » نتيجة للغيرة، اذ ان الولد الغيور يحاول، كما رأينا، لفت انتباه الأهل اليه بشتى الوسائل، و« الغلاظة » انما هي من جملتها. فإذا بالأهل

ينقادون أحياناً إلى شعورهم بالضيق والتعب، فيقارنون بين السلوك المزعج الذي يبديه الكبير وبين هدوء الصغير الذي يمضي معظم وقته في النوم. وإذا بهم يتلفظون بعبارات لا يشعرون انها قد تنطبع كجراح مؤلمة في نفسية الولد الأكبر، وهي من نوع: « من حسن الحظ ان الصغير، هو، لا يزعجني » أو « من حسن حظي ان لديّ الأخت الصغيرة التي هي غير مؤذية »[٧٧]. علينا أن نتحاشى مثل هذا السلوك الذي يرسّخ عند الأخ الأكبر الاعتقاد بان الكِبَر وبال عليه، ويغذّي حنينه الى الصِغَر كما إلى فردوس مفقود.

٣ ــ بأن لا نثقله بالمسؤوليات

ثم ينبغي لنا ان لا نثقله بالمسؤوليات والمطالب بحجة انه اكبر سناً وعليه أن يكون قدوة لسواه، متناسين ان الولد الأكبر لا يزال **ولداً** وغير مراعين حقيقة امكاناته. فهذا مما ينفّره من وضعه ككبير ويزيده حنيناً إلى ما كان يتمتع به في الصِغَر من تدليل وتساهل. هذا ما يحصل خاصةً إذا كان سلوكنا متناقضاً حياله. اذ كثيراً ما نفرض عليه واجبات وتضحيات خاصة بصفته « كبيراً »، وإلى جانب ذلك لا نتورع عن معاملته كالأطفال (علماً بان الأطفال أنفسهم لا تصحّ معاملتهم على هذا المنوال)، فنطالبه بخضوع أعمى وآليّ لأوامرنا ونواهينا دون أن نكلّف النفس مشقة اقناعه بجدواها[٧٨]. صحيح ان إسناد مسؤوليات جديدة إلى الولد الأكبر ومطالبته بمزيد من الواجبات من شأنهما ان يساعداه على النموّ، ولكن شرط ان لا تتجاوز مطالبنا إمكانياته،

وان نقدم له هذه الالتزامات، لا كأنها ضريبة وسُخرة تُفرض على الكِبَر، بل كعلامة على ثقتنا بقدراته المتزايدة واعتزازنا بها.

٤ ــ بان لا نفرض عليه عناية قسرية بالأصغر

كما انه يترتب علينا ان لا نفرض عليه فرضاً تضحيات في سبيل أخيه الأصغر أو مساهمات في العناية به[٧٩]. فقد يقبل ذلك على مضض خوفاً من أن يخسر عطف الوالدين، ولكنه يشعر في قرارة نفسه بالغبن حيال أخيه الذي يبقى من جهته حراً من كل واجب، يكتفي بتقبل العناية والإهتمام، بينما هو مسخر لخدمته[٨٠]. وهذا ليس من شأنه أن يزيّن له التقدم في العمر على انه وضع مرغوب فيه.

٥ ــ بأن نبيّن له التفوق الذي يمنحه الكِبَر

بالإضافة إلى ما سبق، ينبغي لنا ان نبرهن له بمواقفنا وسلوكنا ان وضعه ككبير لا يفرض عليه مزيداً من الواجبات والمسؤوليات وحسب، بل انه يمنحه أيضاً تفوقاً وحقوقاً وامتيازات. وينبغي لهذا الغرض:

أ ــ ان نبرز التفوق الذي منحته إياه مكاسب النموّ[٨١]: فإنه مثلاً قادر على المشي والنطق، فيما أخوه لا يزال عاجزاً عن ذلك؛ وهو قادر على تناول الطعام بنفسه، وعلى الحفاظ على نظافته الخ... بعكس أخيه الذي لم يكتسب بعد هذه القدرات.

ب ــ **أن نؤكد هذا التفوق بإشراكنا الأكبر، اذا شاء وبملء رضاه، في الإعتناء بالأصغر**، بحيث نعهد اليه ببعض المسؤوليات يقوم بها طوعاً تجاهه، كمساعدة الأم على الإهتمام ببعض حاجاته وتلقينه بعض ما يعرف. هكذا نساعده، كما أشرنا، على التسامي بغيرته بحيث يثبت تفوقه على المنافس بشكل ايجابيّ وبنّاء يفيد الأصغر بدل ان يؤذيه، ونفسح له مجال تحويل عدائيته حياله الى حماية.

● هذا ما يتضح من ملاحظة عن ولدَين، صبي وبنت، لهما من العمر أربع وخمس سنوات، قال كل منهما وهما يلوّحان بعصا غليظة: « بهذه سأضرب الصبيان الارديا إذا حاولوا ان يؤذوا الأخت الصغيرة بعد ان تكون قد كبرت ». وكانت الأم قد أوحت لهما بهذه الفكرة، وتمكنت بذلك من تحويل عدائهما المتحفز نحو الطفلة المولودة حديثاً، الى موضوع خارجيّ؛ ومن إشعارهما بأهميتهما كحامِيَيْن للطفلة[٨٢].

هنا لا بدّ من الاشارة إلى انه ينبغي لنا ان نتحقق من ان هذه المساعدة التي يبذلها الأكبر على الاهتمام بأخيه الصغير يجب ان لا تكون طوعية فحسب، بل ان لا تحوّل الأكبر عن الاهتمامات والنشاطات التي تفرض ذاتها بشكل طبيعي في عمره. ذلك ان الغيرة المكبوتة قد تجد مصرفاً لها في اهتمام مفرط بالأخ الأصغر بدافع إقامة وحدة حال معه تسمح للأكبر ان يرتدّ بالشعور والخيال والسلوك الى ما كان عليه عندما كان في سن أخيه، وكأنه يستعيد بهذه الطريقة « امتيازات » طفولته

الاولى. لذا ينبغي للأهل ان ينتبهوا الى خطر مثل هذا السلوك. فاذا لاحظوا ان ولدهم الأكبر انقطع فجأة عن أترابه وتحوّل عن العديد من اهتماماته ليركّز على العناية بالصغير، كان عليهم ان يحوّلوه عن هذا الاتجاه[٨٣]. ويصحّ هذا بنوع خاص اذا كان الولد الأكبر دون السابعة من عمره، اذ ان خطر تماهي المنافس الصغير (أي تقمص شخصيته) بداعي الحبّ له، أكبر في هذه المرحلة من العمر حيث لم تترسّخ بعد معالم الشخصية المتمايزة[٨٤].

ينبغي أيضاً الاحتراز من ظاهرة شائعة ولكنها خَطِرة، وهي اسناد مسؤولية اخوتها الى الابنة البكر. انها ظاهرة مقبولة ومشجَّعة سواء في مجتمعنا أو في المجتمع الغربي، ويثني عليها الناس عادة، معتبرين الأم التي تسند إلى ابنتها هذه المسؤولية اماً محظوظة، والبنت التي تقبل بها بنتاً طيبة، فاضلة. ولكن هذه البنت تصبح أماً ثانية، وهذا ما يشكّل خطراً على شخصيتها. فهي تعيش بشكل زائف أمومة سابقة لاوانها، وتخلط بينها وبين أمها، بين اخوتها وابنائها. وقد يؤول ذلك مستقبلاً الى اضطراب في توازنها العاطفيّ[٨٥].

وهناك خطر من نوعٍ آخر ينبغي التنبّه اليه، وهو ان إسناد مسؤولية الاخوة الى البكر، صبياً كان ام بنتاً، يعني منحه سلطاناً لا حدّ له عليهم. وهذا ليس بالأمر المستحبّ اذ قد يُقدم البكر، مدفوعاً بغيرته، على اساءة استعمال هذا السلطان، وقد يعذّب اخوته ويقهرهم ويضطهدهم في غفلة من الأهل[٨٦].

ج ــ ان نمنح الأكبر بعض الامتيازات كاعتراف منا بما أحرزه من تقدم في العمر والنضج. فهذا ما من شأنه أن يساعده على الترحيب بالكِبَر وبالتالي على تجاوز الغيرة وما تتضمنه من حنين الى الاوضاع الطفولية الاولى.

ــ فقد نزيد « خرجّيته » (أي ما نضعه تحت تصرفه من مال من أجل إنفاقه الخاص) بعد ولادة الأخ أو الأخت الأصغر، إقراراً منا بالمركز الجديد (مركز الأكبر) الذي رفعته اليه هذه الولادة.

ــ وقد نخصّه بنشاطات لا قبيل لأخيه (أو لاخته) الأصغر بها، مبرزين بهذه المناسبة الفارق بينهما من حيث المقدرة.

● نذكر بهذا الصدد تلك الملاحظة التي ترويها كوليت هوفاس عن الصغيرة ستيفاني (٤ سنوات) التي أبدت سروراً كبيراً عندما قيل لها انه سوف يُذهب بها الى السيرك لتشاهد الحيوانات هناك. ولكن الطفلة استوضحت إن كانت اختها الأصغر ستذهب أيضاً الى هذا المشهد. فأُجيبت: « كلاّ، بالتأكيد. فالبنات الكبيرات وحدهنّ يذهبن إلى السيرك، كما تعلمين. أما الأطفال فيبقون في البيت ». عند ذاك بدا الارتياح الشديد في نظرة ستيفاني اذ أحسّت ان الكِبَر له حسناته[٨٧].

ــ وقد نعدّ له بهذه المناسبة سريراً اكبر من ذاك الذي كان يرقد فيه حتى ذلك الحين، وننقله اليه، فنجسّد بهذا العمل اعترافنا بنموّه وبترقّيه في سلّم المراتب ضمن الاسرة.

● وقد روى لنا المحلل النفسي شارل بودوان قصة الطفلة مادلين التي كان لها من العمر ١٧ شهراً عندما وُلدت لها أخت سُميت جاكي. ولم تُبدِ مادلين لأول وهلة أية غيرة تجاه اختها، وتقدمت في النظافة بحيث أصبحت شبه نظيفة تماماً حوالي الشهر العشرين من عمرها. ولكنها فجأة عادت تبول في سريرها. وقد تزامن هذا التقهقر مع ازدياد اهتمام الاسرة بأختها الصغرى التي بدأت تلفت الانظار بحركاتها ومناغاتها. واستمرت مادلين على هذه الحال حتى بلغت حوالي الثلاث سنين وسبعة أشهر من عمرها. وحدث في تلك الآونة ان ام الطفلة أزمعت على القيام بسفر مصطحبةً معها طفلتيها. وقبل السفر أعلنت الأم لمادلين انه سوف يكون لها، في المدينة التي كانوا يقصدونها، سرير شبيه بأسرّة الكبار. فأبدت مادلين شيئاً من الفرح لدى سماعها هذا الخبر، ولكنها سألت فوراً: « وجاكي، هل سيكون لها سرير بحجم سريري ؟ ». فأجابت الأم: « كلاّ، سيكون أصغر حجماً ». عندئذٍ جُنّت مادلين من الفرح وأخذت تردّد في كل لحظة: « سيكون لي سرير كبير، أكبر من سرير جاكي ! ». وعندما وصلوا إلى المدينة المقصودة، أعطيت مادلين بالفعل سريراً كبيراً كما وُعدت، واذا بها من عشية الى ضحاها تنقطع عن التبويل في سريرها، كما ان علاقتها بوالدتها، التي كانت قد ساءَت في الآونة الأخيرة، تحسنت بسرعة وأصبحت ممتازة بعد فترة وجيزة، ولم تعد مادلين تلوم أمها بانها تفضّل عليها أختها الصغرى. هكذا توصلت الطفلة إلى تخطي غيرتها لما شعرت ان تقدمها بالسنّ على أختها قد عاد عليها بتفوق ملموس على هذه الأخيرة[٨٨].

ـــ هكذا فإن امتيازاً ذا دلالة يُمنح للأخ الأكبر، ولو بعد حين، قد يكون بمثابة علاج لشفاء جرح حفرته الغيرة في النفس، وإزالة آثاره السلبية من السلوك. تحضرنا بهذا الصدد الحادثة الطريفة التالية التي يرويها الدكتور اندره برج:

● صبي ولدت له أخت. فلم يظهر عليه إثر هذه الولادة، بادئ ذي بدء، أي شيء غير طبيعي. ولكنه، في وقت من الأوقات، اضطر إلى اخلاء غرفته لتحتلّها الأخت الصغيرة. وقد تزامن هذا التغيير الطارئ على حياته مع ظهور بوال بقي الصبي يعاني منه حتى بلوغه ١٢ أو ١٣ سنة. وكان، في ذلك العمر، ما زال يذكر غرفته المفقودة ويتحدث عنها بأسف. بعد ذلك ببعض الوقت انتقلت الاسرة الى بيتها الريفي لتمضية الصيف، واستقبلت فيه ضيوفاً. ولما شارف الصيف على نهايته وغادر الضيوف البيت، خلت غرفة فيه. كانت هذه الغرفة تستهوي الصبي، فعبّر لأهله عن رغبته بأن ينتقل اليها. خطر للأهل، لاول وهلة، انه لم يبق للاسرة سوى ثلاثة أيام وتغادر الريف، وانه لا داعي بالتالي للانتقال الى غرفة جديدة في هذا المتسّع الضيق من الزمن. ولكنهم تذكروا ما أفضى لهم به ولدهم عن انطباعه الأليم لدى اضطراره إلى مغادرة غرفته حين كان طفلاً صغيراً. وهذا ما ألهمهم ان ينزلوا عند رغبته. وما أن استقر الفتى في تلك الغرفة، حتى زال البوال عنه نهائياً، وكأنه، يقول الدكتور برج، قد نال أخيراً ما كان يطالب به، منذ سنوات، من إنصاف[٨٩].

ـــ ومن المرغوب فيه أن يغتنم الوالد فرصة ولادة الأخ أو الأخت الأصغر ليولي الأكبر مزيداً من اهتمامه، ويمنحه حصة أكبر من وقته، وليأخذه أحياناً برفقته، ويساعده بالتالي على الانفصال الجزئي عن دائرة حنان الأم الدافئة والمغلقة ليواجه، بصحبة أبيه ومن خلاله، العالم الخارجيّ وما يحويه من اكتشافات مثيرة. هكذا يلعب الأب دوره الطبيعي كمساعد للولد على قطع حبل السرة العاطفي الذي لا يزال يشدّ الطفل إلى أمه بعد الولادة والذي لا بدّ له أن يتلاشى تدريجياً لإفساح المجال أمام نموّ الولد واستقلاليته[٩٠]. والغيرة الاخوية هي، كما أشرنا، خبرة ذات أهمية بالغة من حيث دفعها الولد الى التمايز عن أمه، لذا فالحاجة إلى الأب وإلى دوره الطبيعي في هذا المجال ـــ وهو ما يسميه الدكتور برنار مولدورف بـ « وظيفة الأب الفاصلة » la fonction séparatrice du père ـــ تبرز بنوع خاص في هذه المرحلة.

● تروي لنا إحدى الاخصائيات في العلاج النفسي للاولاد، دينيس سدا، هذه الملاحظة عن ولد تطلق عليه اسم فرنان. فقد لاحظ والد هذا الصبي ان ولده، الذي كان قد بلغ من العمر أربعة أعوام وكان قد أصبح نظيفاً منذ مدة طويلة، عاد فجأة الى التبويل في سريره، كما لاحظ ان بروز هذه الظاهرة تصادف مع ولادة أخ صغير لفرنان. لذا اشترى الوالد علبة جميلة للرسم المائي وأوراق رسم كبيرة وقدمها لولده الأكبر، مقترحاً عليه بأن يصحبه الى الريف كل يوم أحد ليرسما هناك معاً. فكان أن اختفى بوال فرنان تماماً، من جهة نتيجة لتلك الترقية

التي حظي بها اذ أصبح رفيقاً خاصاً لوالده ينفرد وإياه ليقوما معاً بنفس العمل، ومن جهة اخرى لان الرسم المائي كان يشكّل تحويلاً نحو الأعلى (« تسامياً » بلغة التحليل النفسي) للذة التي كان يجدها الولد في تبليل سريره[٩١].

سابعاً: اتخاذ الموقف المناسب حيال الأصغر

ثم ان مواجهة الغيرة الاخوية تقتضي أيضاً، الى جانب السلوك الذي تفرضه تجاه الولد الأكبر، سلوكاً مناسباً يتناول الأصغر الذي هو أيضاً طرف في الغيرة، وإن كان جرحه منها أقل عمقاً، على وجه العموم، من جرح الأكبر[٩٢]. وهذا ما يفرض بعض المواقف:

أ ــ منها ان نمتنع قدر الإمكان عن تخصيص الأخ الأصغر بما سبق ان استعمله الأكبر من ألبسة وألعاب. فهذا ما قد يُشعر الأصغر بالدونية (لانه يرتدي أو يستعمل فضلات أخيه) وبأن تمايزه عن أخيه غير معتَرَف به فعلاً (اذ يعامَل وكأنه امتداد له)، مما يؤول الى تغذية الغيرة عنده. ويلاحظ إدموند زيمان بهذا الشأن:

« عندما يتعاقب الاولاد دون فارق كبير بالسن بينهم، تُستعمل ثياب الأكبر لكساء الأصغر. ولكن الاولاد من الجنسين يكرهون هذه العادة، وخاصة البنات منهم لان أزياء الملابس النسائية تتبدل

بسرعة. ان ارتداء الأكبر ثياباً أفضل يثير عداء الأصغر وغيرته »[٩٣].

وإذا كان لا بدّ من أن يرث ولد ثياب الأخ الأكبر منه، فلنحرص، كما تلفتنا احدى الاخصائيات، على ان تكون لهذه القاعدة استثناءَات، فنقدّم له بين الحين والحين قطعة من الملابس نوضح له اننا اشتريناها خصيصاً له[٩٤].

ب ــ ومنها ان نساعد الأصغر على تفادي الشعور بان هوة سحيقة تفصل بينه وبين الأكبر منه وبأنه محكوم عليه حياله بدونية نهائية، فنحفزه على الإدراك بانه هو أيضاً بصدد اكتساب المهارات والقدرات التي سبق للأكبر أن اكتسبها بفعل نموّه. من هنا اقتضى ان نبرز ما يحرزه من تقدم في خطّ النموّ، وان نعوّده، كما يقول الاخصائي النفسي الفرنسي فيليب مالريو، على « ان يقارن نفسه بما كان عليه هو لا بأخيه الأكبر »[٩٥].

ج ــ ومنها ان نساعد الأصغر على ايجاد مجال يستطيع فيه تأكيد ذاته خارج محيط الاسرة بين رفاق من عمره ينتفي في علاقته بهم هذا الشعور بالدونية الذي يلازمه عندما يقارن ذاته بقدرات أخيه الأكبر. هذا يصحّ خاصة بالنسبة لأصغر ولد في الاسرة، لان هذا لا يستطيع ان يعوّض عن شعوره بالنقص تجاه الأكبر منه بشعور عكسي بالتفوق تجاه من يصغره بالسنّ.

● وقد وصفت لنا نيكول فابر حالة هرفيه، وهو أصغر أولاد إحدى الأُسَر، وكيف ان هذا الصبي، المنطوي جداً على نفسه

ضمن الأسرة، يبدو، على العكس، حياً وواثقاً من نفسه وحاذقاً اذا كان بين جماعة أترابه. فكأنه يستيقظ ويتحول اذا خرج من محيط الأسرة، واذا بهذا الولد الخجول والفاقد المبادرة، يمارس دور رئيس طليعة كشفية ويتمتع بسلطة حقيقية في قيامه بوظيفته هذه. أما تفسير هذا التناقض، فيكمن في ان هرفيه يُنظَر اليه دائماً في البيت على انه « الأصغر » و« الأخير »، وقد لصقت به هذه الصفة الى حدّ انه غدا مقتنعاً انه لن يستطيع نزعها عنه الا بشق النفس. لذا سعى الى الخروج من هذا الدور وإلى تحقيق ما يرغب ان يكونه، خارج المحيط العائليّ[٩٦].

يقول فريق من المربين:

« ينبغي الحرص قدر الامكان على ان لا يلعب أصغر الاولاد مع اخوته وأخواته فقط، لان ليس بمقدوره أن يجاريهم ولا يسعه بالتالي الا ان يلاحظ عدم مهارته بالقياس اليهم. ينبغي، بالعكس، أن يُسمح له باللعب مع رفاق من عمره، بحيث يتاح له ان يبرز قدراته... »[٩٧].

ويبرز نفس الفريق السلوك المتناقض والمثير للغيرة الذي كثيراً ما ينتهجه الأهل حيال أصغر ولد في الاسرة:

« ... كثير من الوالدين ينزعون الى إبقائه أطول ما يمكن في وضع الصغير جداً وإلى تدليله بصفته آخر مواليد الاسرة. وهو قد يصبح، من جراء ذلك، غير مستقلّ بما فيه الكفاية وقد يتعرض (بالتالي) الى صعوبات كبيرة عندما يذهب إلى المدرسة. عند ذاك كثيراً ما ينقلب موقف الوالدين رأساً على

عقب، اذ يأخذون منذ ذلك الحين باطراء اخوته الأكبر سناً ويقدّمونهم كنماذج وينوّهون بما ينالونه من نجاح. أما الأصغر، فيُنعت على العكس بـ « الغبيّ الصغير ». هكذا، فبعد أن دلّلوه بافراط وأبقوا عليه بشكل مصطنع في مرحلة نموّ أدنى من عمره، ينتقدونه الآن بسبب فشله ويذكّرونه بلا انقطاع بنتائج الأكبر منه. فلا بدّ ان تنشأ عنده، والحالة هذه، ردود فعل غيورة »[٩٨].

ثامناً: إيلاء اهتمام خاص للولد الوسيط

هذا ويجب ايلاء اهتمام خاص للولد الذي يشغل مركزاً وسيطاً بين اخوته. فقد رأينا (راجع: الفصل الأول ــ ثانياً ــ ٣) كيف انه معرّض بنوع خاص للإحباط كونه محشوراً بين أخ أكبر منه يفوقه اقتداراً من جراء عمره وأخ أصغر انتزع منه المركز المميّز الذي حظي به ردحاً من الزمن عندما كان، لفترة، آخر اخوته، وان هذا الإحباط يتعاظم اذا قصرت المسافة الزمنية التي تفصله عن الأصغر منه وقصر بالتالي زمن استمتاعه بامتيازات الولد الأصغر. من هنا ان الولد المتوسط يحتاج إلى انتباه وعطف خصوصيين. وينبغي إفساح المجال له أيضاً ليلعب مع رفاق من عمره، خارج المحيط العائلي وبعيداً عن المقارنة الدائمة التي يفرضها عليه هذا المحيط مع الأكبر منه. كما انه ينبغي الحرص، في التعامل معه، على إشعاره انه ينتمي في الاسرة الى فريق الاولاد الأكبر سناً، الى جماعة « الكبار »[٩٩].

تاسعاً: تحاشي المقارنة بين الاخوة

وإذا شئنا أن نتجنب استفحال الغيرة، كان لا بد لنا من تحاشي المقارنة بين ولد وآخر من أولادنا. فالمقارنة، ولو كانت ضمنية، غير معبَّر عنها بشكل صريح، يحسّها الولد وتثير غيرته. كما اننا نغذي، بهذا السلوك، نفوره ممن نتخذه موضوعاً للتفضيل: فكيف له، والحالة هذه، أن يتشبه بمن ينفر منه (إذا كان القصد من مقارنتنا دفعه إلى التشبه بسواه ممن نفضل سلوكه) ؟

● ان الملاحظة رقم ٢ المثبتة في مطلع هذا الكتاب تقيم على دفعتين مقارنة بين السلوك المستَحَبّ للأخت الصغيرة والسلوك غير المرغوب فيه للأخت الكبيرة، كما انها تحوي على هذه العبارة: « هل من طريقة لتصبح الكبيرة مثل الصغيرة ؟ ». في الندوة التي عُقدت للأهل للإجابة عن هذه الملاحظة وسواها من ملاحظاتهم، عبّرتُ عن خشيتي بان تكون الوالدة صاحبة الملاحظة تبدي نفس المقارنة في مواقفها من ابنتيها في الحياة اليومية، وبأن يؤول ذلك، في حال حصوله، الى تعطيل نيتها الصادقة في أن « تعامل الاثنتين نفس المعاملة »، وإلى الاساءَة إلى « الجهد الاقصى » التي تقول انها « تبذله دائماً حتى تكون عادلة بينهما ولا تفرق احداهن عن الاخرى ».

على نقيض مثل هذا السلوك، ينبغي أن نعامل كلاً من أولادنا وكأنه وحيد. فلكل ولد فرادته يُطلب منا اكتشافها ومساعدته على اكتشافها، عوض ان نتخذ احد أولادنا مقياساً لتقويمنا لولد

آخر. يجب علينا أن نشجّع كل ولد على النمو في خطّ فرادته، على استثمار ما أعطي من مواهب أفضل استثمار. هكذا يشعر كل من أولادنا باننا منصفون له ومعترفون بما له من كيان فريد، فتخفّ بالتالي حدة أسباب غيرته. لذا اقتضى أن نُفهم كلاً من أولادنا ان له الحق بان يكون له مزاجه الشخصي وميوله الذاتية وحاجاته الخاصة، وبأن تكون هذه الميول والحاجات والمزاج على خلاف ميول أخيه وحاجاته ومزاجه. ثم ينبغي ان نتفادى المقارنة بين ما أحرزه أولادنا من نجاحات أو صادفوه من فشل في ميدان معيّن، كالميدان المدرسيّ مثلاً، بل أن نُشعرهم أن المطلوب من كل واحد منهم ليس هو التفوق على أخيه أو مجاراته في ميدان ما، بل الذهاب، في هذا الميدان، الى أقصى ما تسمح به مؤهلاته الذاتية، مقارناً انجازاته بما سبقها من انجازات ومحاولاً التقدم **على نفسه** قدر المستطاع.

في ملف نشرته مجلة « لموند التربية » حول العلاقات بين الاخوة، تلفت احدى الاخصائيات نظر الأهل الى ضرورة التجنّب الكليّ للمقارنات، من باب « ان أخاك، في عمرك، كان كذا وكذا... » وتوصيهم قائلة: « لا تسحقوا الواحد بمثال الآخر »، وتنبههم الى الدور السلبيّ الذي يلعبه بعض مدرّسي أولادهم اذ يمرّ في صفّهم في سياق الأعوام المتلاحقة ولدان من نفس الاسرة، فإذا ما أرضاهم الأول أكثر من الثاني لم يتأخروا في مقارنة هذا الأخير بأخيه بغية تأنيبه وحفزه. فتنصح الاخصائية الأهل أن يقصدوا هذا المدرّس ويحدثّوه في الأمر ويلفتوه الى ما قد ينتج عن هذه المقارنة من إحباط للولد الثاني ومن تثبيط

لعزائمه. فقد تكون هذه المصارحة مُجدية في دفع المدرّس الى الإقلاع عن أسلوبه[١٠٠].

أما الدكتورة فرنسواز دولتو، المحللة النفسية الفرنسية الشهيرة، المتوفية سنة ١٩٨٨، فتقول في إحدى مقابلاتها التلفزيونية التي كانت تجيب خلالها عن أسئلة الأهل حول الحالات التربوية التي تواجههم:

« إنما التربية هي أن نساعد الولد على أن يعطي أفضل ما لديه، وليست بحال من الأحوال أن نشجعه على تقليد سواه »[١٠١].

مهمّ أن يتأكد أولادنا، دون أي مجال للالتباس، ان كلاً منهم محبوب منا على مقدار محبتنا لغيره، وذلك سواءً كان هادئاً أو صاخباً، ذكياً أو أقل ذكاءً، جميلاً أو بشعاً[١٠٢].

● ويجدر بنا، ونحن بهذا الصدد، أن نتأمل في تلك الملاحظة التي ترويها لنا نيكول فابر عن ماري وأخيها الذي كان يكبرها بخمسة أعوام. فالأخ هذا كان ذكياً، لامعاً في دراسته، مما بَهَرَ والدَيه اللذين كانا قد اضطرا الى الإنقطاع عن الدراسة عند بلوغهما الثالثة عشرة من عمرهما. لذا تركّز اهتمام الوالدَين على الأخ المذكور وأصبحت آراؤه نافذة في المحادثات العائلية. أما أخته، فقد طرأ تغيير على سلوكها، بحيث انها، بعد أن كانت، في صِغَرها، تلفت الأنظار بمرحها ونضارتها، تحولت بسرعة وغدت منطوية على نفسها، مكتئبة، حردة، قليلة الاجتهاد، مستغرقة في الأحلام. ما قد حصل هو انها أحسّت

بان والدَيها يقارنان ضمناً بينها وبين أخيها، وانها، في حلبة هذه المقارنة، مغلوبة لا محالة، اذ ليس بوسعها ان تجاري أخاها في ميدانه، ميدان الذكاء والنجاح المدرسيّ، لذا فعوض أن تحاول البروز في مجالها الخاص، منمّيةً مواهبها الفريدة، انطوت على نفسها واستسلمت لعقدة الفشل. ولربما كانت تمكنت من التطور على منوال أفضل لو انتبه والداها إلى اضطرابها، وأدركا أسبابه، وحاولا مساعدتها على اكتشاف ما لديها من ميزات ذاتية تختلف عن ميزات أخيها، وأشعراها بقيمة هذه الميزات من خلال تقويمهما الذاتي لها، وشجعاها على انمائها واستثمارها[١٠٣].

عاشراً: تحاشي التدخل في المشاجرات الاخوية

أخيراً ينبغي أن يحرص الوالدان على التدخل بأقل ما يمكن في المشاجرات بين الاخوة، التي لا تتعدى كونها أمراً طبيعياً اذا كانت مقرونة، من ناحية اخرى، بمظاهر الودّ والتعاون في ما بينهم. وما يجب ان يزيدنا تحفظاً حيال التدخّل في هذه المشاجرات الاخوية، كونها، الى حدّ ما، وسيلة يستخدمها الاولاد لاستدراج الأب والأم إلى إبداء انحياز لطرف على حساب الطرف الآخر، وكأن الوالدان يوضعان عند ذاك على المحكّ لينكشف ما يضمرانه من تفضيل. فإذا ما ناصرا واحداً على الآخر، اعتبر الثاني نفسه مغبوناً، مما يؤجّج غيرته ويدفعه الى تكرار المشاجرة انتقاماً مما حظي به خصمه من عضد. اما الأول فهو منقاد أيضاً من جهته، الى إعادة الكرة كي يتسنى له ان ينعم من

جديد بالمناصرة الوالدية. لذا تكثر هذه المشاجرات بحضور الأهل ويغذيها تدخّلهم. ولهذا السبب أيضاً تُلاحَظ هذه الظاهرة، التي قد تبدو غريبة لأول وهلة، الا وهي تحرّش الأضعف بالأقوى واستدراجه الى العراك، وكأن الغاية المنشودة ليست، عند المتحرش، الانتصار على خصمه، انما كسب مؤازرة الأهل بحجة هذا الصراع غير المتكافئ. من هنا ما يجده الأهل من صعوبة في حسم هذه المشاجرات بعدل، أياً كانت رغبتهم في ذلك صادقة (وقد قال المثل الشعبي بهذا الصدد: « ان قاضي الاولاد شنق نفسه ! »)[١٠٤].

يقول الدكتور رودولف درايكرس ان الاولاد يتشاجرون عمداً ليجتذبوا الانتباه. فأصغرهم يستخدم المشاجرة ليبرز ذاته في نظر الأهل، ليستدرجهم الى اعطائه الحق وتحميل اللوم للأكبر منه، ولو كلّفه ذلك تلقي الضرب من هذا الأخير. أما الأكبر فهو يردّ على تحدّي الأصغر (سافراً كان أم مبطناً) ليفرض نفسه بهذه الوسيلة ــ ولو سلبياً ــ على انتباه الأهل. لذا فان تدخّل هؤلاء، ولو أخمد المشاجرة وقتياً، الا انه يغذي لدى الاولاد الحافز الذي دفعهم اليها وبالتالي فانه يشجعهم على تكرارها. علاوةً على ذلك، فان هذا التدخّل يرسّخ لدى الأصغر، عبر الحماية التي تُمنح له، الشعور بدونيته وتبعيته، ولدى الأكبر الشعور بنبذه.

ويقدم هذا المؤلف شواهد على ما يقوله، نذكر منها المثلين التاليين:

- لوسي (٨ سنوات) وشارل (٥ سنوات) يشاهدان

التلفزيون بينما تعدّ امهما العشاء. اقترب شارل من لوسي، فأفسحت هي له مكاناً. وضع شارل ساقه على ساق لوسي. فامتعضت هذه، وقد كانت غارقة في مشاهدتها للفيلم، ولكنها قالت له بهدوء: « كفى ! ». شرع شارل يتابع رسم بلوزة لوسي باصبعه، فاحتجت قائلة: « قلت لك: كفى ! ». قهقه شارل مَرِحاً. دنا من لوسي وأَمَرَّ إصبعه على أذنها. أزاحت يده بعنف وغرست أسنانها في ذراعه. مَضى شارل مولولاً. أسرعت الأم الى الغرفة. سألت بغضب: « ما الذي يجري ؟ ». رأت شارل يصرخ ويتأرجح وذراعه مشدودة إلى جسمه. أسرعت اليه، رفعته وضمته اليها. مدّ لها ذراعه حيث بدت علامات العضّة واضحة جداً. صرخت الأم: لوسي ! ــ لقد كان يزعجني ــ ان ما فَعَلَهُ لا يهمني، لا يحقّ لك ان تعاملي أخاك بهذه الطريقة.

هكذا دخلت الأم من حيث لا تدري في لعبة شارل، الطفل الصغير، الذي يتمتع بهذه الصفة بحماية الأم، والذي أقحم نفسه في هذا الوضع ليستدرجها الى مزيد من التعبير عن حمايتها، أما لوسي، التي تتضايق من الحماية الخاصة التي يحظى بها أخوها الصغير وتعتبر ذلك خيانة لها، فقد قصدت من وراء فعلها ان تتحدى الأم وتدفعها الى التدخّل لصالح أخيها لتؤكّد لنفسها حقيقة « خيانة » الأم لها.

برأي درايكرس، انه كان على الام ان لا تتدخل في هذا الشجار بين ولديها. فالشجار شجارهما، وهي غير معنية به. إذا كان شارل لا يُحبّ ان يُعضّ، فما عليه الا ان لا يتحرش

بأخته. هكذا كانت حمّلت ولديها مسؤولية العلاقة بينهما، وبحرصها على ان لا يجنيا فائدة من شجارهما، كانت حفزتهما الى اعتماد نوع جديد من الاتصال بين احدهما والآخر.

وإليكم الآن المثل الآخر:

● سوزان (٦ سنوات) جالسة قرب أخيها هنري (٩ سنوات) الذي يبني تركيبة بلعبة الـ « ميكانو »، يساعده فيها اخوه آلان (٧ سنوات ونصف). وكان كل شيء يجري بهدوء الى ان أقدمت سوزان بخبث على دفع هنري بِرِجلها. وعندما أعادت الكرة، صرخ بها هنري: « كفّي يا سوزان ! ». سألت سوزان ببراءَة مفتعلة: « ما الذي حصل ؟ »، وادّعت انها لم تفعل سوى تحريك رجلها قليلاً وان الحقّ ليس عليها اذا كان هنري يحشرها. عادت سوزان الى سابق تصرفها، فضربها هنري بقبضة يده. مضت سوزان متباكية، وإذ شاهدت امها تعمل في الحديقة، أطلقت صيحة حادة وأجهشت بالبكاء: « ماما، لقد أوجعني هنري ». عادت الأم الى البيت ورأت علامة اللطمة على ذراع سوزان، فطيّبت خاطرها ونادت هنري: « لماذا ضربت سوزان ؟ ». أجاب: « هي التي بدأت ». احتجّت سوزان: « هذا ليس صحيحاً ». صرخ هنري: « لقد ركلتيني برِجلكِ عدة مرات » ــ « لم تكن ضرباتي قوية ». قاطعتهما الأم متوجهة الى هنري: « حريّ بك ان تخجل. فسوزان هي الأصغر، وانت البكر. يتوجب عليك ان تقدم القدوة الحسنة. لستَ سوى ولد فظّ. اعتذر من أختك، ولا تضربها أبداً في ما بعد ». مسحت

سوزان دموعها ونظرت الى هنري بإهتمام ظاهر فيما طفت ابتسامة على شفتيها. غمغم هنري وهو مطرق برأسه: « انني متأسف ». ألقت الأم موعظة: « والآن إلعبا بلطف معاً. ينبغي ان تتحابا لانكما أخ وأخت وينبغي أن لا تتشاجرا ».

غادرت الأم الغرفة. عاد هنري إلى تركيبته. دمدم: « انك واشية ». احتجت سوزان: « قالت الماما انه يجب أن تكون لطيفاً معي، لأنني الأصغر ». أجاب أخوها: « يا لها من مزحة ! أغربي عني، فهذه لعبتي، ولستُ بحاجة أن تدوري حولي ». غادرت سوزان الغرفة. صرخ هنري وراء ظهرها: « اذهبي وارفعي وشاية جديدة، أيتها الطفلة الرضيعة ». قصدت سوزان أمها في المطبخ. دمدمت: « ماما، هنري لا يدعني ألعب معه. انه يضايقني ». عادت الأم الى هنري: « يا إلهي ! كم انت قبيح، يا هنري، لماذا لا تدع أختك تلعب معك ؟ ــ انها تشوّش كل شيء، أجاب الصبي بنبرة التحسر ــ هنري، لقد أصبحت بمنتهى الفظاظة. اذهب واجلس في المطبخ الى أن توافق على اللعب مع اختك ». قالت هذا وأمسكت بذراعه، فيما بدت إمارات الرضى الكبير على وجه سوزان، وجرّته الى المطبخ وأجلسته على كرسيّ. فأطرق مركّزاً نظره على الأرض ومطّ شفتيه غضباً واستياءً.

هنا الأم كانت تنوي بصدق ان تخمد المشاجرات وان تدعو الى المحبة الاخوية ولكنها، من حيث لا تدري، وقعت في الفخ المنصوب لها وصبت زيتاً على النار. فقد انحازت الى

الصغيرة المزعجة ودافعت عنها ضدّ ابنها البكر. فكان انها، بهذه الحماية الزائدة، رسّخت لدى سوزان شعورها بانها طفلة تحتاج إلى اهتمام خاص وبالغ، بينما هي فعلاً ابنة ٦ سنوات وقادرة تماماً بالتالي على العناية بنفسها وعلى الدفاع عن ذاتها في وجه أخيها. ثم انها، بالقائها التبعة على هنري، لعبت لعبة سوزان التي أشعلت عمداً المشاجرة لا لشيء سوى لتسبب المتاعب لأخيها وتذلّه وتسجّل تفوقاً عليه. ولم تكن صيحتها الحادّة نتيجة الألم بل أسلوباً لتنفيذ خطتها، لذا فانها لم تطلقها الا بعد ان فتشت عن امها وتأكدت ان الصيحة ستبلغ مسامعها. اما هنري فقد تثبّت له ان التبعة تُلقى عليه لا محالة لمجرد كونه البكر وانه سيُنظَر اليه أبداً على انه المعتدي لذا تَلبّس هذا الدور الذي أحسّه ملصَقاً به ولم يأبه بموعظة امه عن المحبة الاخوية (التي أحسّ بزيفها كونها كانت تجاهلاً لحقيقة المشكلة وبالتالي تستيراً على المذنبة المتظاهرة بانها الضحية) وأعاد التعرض لاخته تأكيداً لوجوده في نظر الأم وثأراً للاجحاف الذي لحقه منها، ولو كان يعلم ان ذلك سوف يجلب عليه متاعب جديدة.

هكذا نرى ان الأم، بدخولها في اللعبة، لم تخمد خصاماً الا لتمهّد لخصام جديد. في حين انها لو تجاهلت الشجار الحاصل لفقد هذا الأخير سريعاً جاذبيته في نظر الولدَين. لو كانت الأم لا تتأثر بصراخ سوزان، لأقلعت هذه عن استراتيجيتها في إثارة المشاكل مع أخيها لتجني منها مكاسب.

يؤكد درايكرس ان امتناع الأهل عن التدخّل في مشاجرات

الاخوة يساهم في نزع فتيل هذه المشاجرات ويعلّم الاولاد ان يتوافقوا في ما بينهم وان يقدموا تنازلات متبادلة بعضهم لبعض. ويلاحظ انه يمكن، لا بل يجب، ان يتحدث الأهل مع الاولاد عن مشاجراتهم، بصورة ودّية، وبدون ابداء مواعظ وأحكام، وان يفكّروا معهم في كيفية حلّ الخلافات، شرط ان لا يتمّ ذلك أثناء نشوب الصراع، اذ ان الكلمات، في ذلك الحين، لا تعلّم شيئاً ولا تقدّم أية مساعدة حقيقية على التفاهم بل تُتخذ أسلحة إضافية في الصراع الجاري[١٠٥].

الافضل اذاً، كما أسلفنا، ان نحدّ قدر الإمكان من تدخلنا في المشاجرات الأخوية، مكتفين بالسهر على ان لا يُلحق احد المتخاصمين أذى ذا بال بالآخر أو يتسلط عليه بشكل دائم. ومن حق الأهل، أيضاً، كما تشير احدى الاخصائيات، جاكلين دانا، أن يطالبوا الاولاد باحترام البيت وراحة الأهل، في مشاجراتهم، لقاء عدم تدخّل الأهل بها:

« ذلك ان الصريخ المستمر والمشاجرات الدائمة متعبة جداً للآباء والأمهات. ولا يوجد أي مبرر لكي يدعها هؤلاء تسمم حياتهم. هذا يشكّل مبرراً للتدخل: تشاجروا، يا أولاد، تحت مسؤوليتكم، انما افعلوا ذلك في زاويتكم، دون ان تنكّدوا والدَيكم. هذا بحدّ ذاته يشكّل عنصر سلام لان مجرد كون المشاجرات تجري بمعزل عن جمهور يشاهدها، يفقدها الكثير من تشويقها ! »[١٠٦].

هذا ولكي نكون أقل انفعالاً حيال مشاجرات أولادنا، وبالتالي

أقل تدخلاً فيها، ينبغي أن ندرك ان لهذه المشاجرات حسناتها على كل حال، اذ من شأنها أن تدرّب أولادنا على الصراع، الذي لا بدّ وان يواجهوه في المجتمع، فيتعلم كل منهم من خلالها أن يؤكّد ذاته مع مراعاة وجود الآخر ومصلحة الآخر ووجهة نظر الآخر وواقع ميزان القوى، فيتخطى هكذا تحكم الأنوية égocentrisme به، وينمو في النضج النفسيّ والقدرة على مواجهة الواقع وعلى التكيّف مع متطلبات الحياة الاجتماعية. فان لم نتدخل بها، أفسحنا المجال لاولادنا كي يتمرسوا على هذه المتطلبات. يقول الدكتور درايكرس:

« اذا تُرك الاولاد لأنفسهم، أقاموا في ما بينهم علاقات أكثر عدالة وانصافاً من تلك التي نقيمها عنهم. انهم يتعلمون أن يتحلّوا بالدبلوماسية في مواجهة الواقع، وأن يعرفوا المساواة والعدالة، واعتبار الآخر واحترامه. هذا هو بالضبط ما نريد تعليمه لاولادنا. ان أفضل أسلوب لذلك، هو أن نتوارى ونفسح لهم المجال »[١٠٧].

أما إذا اضطررنا الى التدخل لوضع حدّ لغلوّ في العنف، أو لأيّ من الأسباب التي أسلفنا الاشارة اليها، فقد يتخذ تدخلنا أسلوب « التحييد » hors-jeu الذي يتحدث عنه الدكتور دودسون، والذي يهدف الى عزل المتشاجِرَين لفترة قصيرة من الزمن احدهما عن الآخر وعن جمهورهما المحتمل، ريثما تعود المياه تلقائياً إلى مجاريها. يقول دودسون للأهل:

« ... إذا ما تشاجر ولدان أرسلوا كلاً منهما إلى غرفة

(منفصلة) ليبقى فيها بهدوء مدة خمس دقائق. هكذا لا يكافأ شجارهما بانتباه الأهل... »[١٠٨].

وعلى كلٍّ، وأياً كان شكل تدخّلنا، فليتمّ بحزم مقرون بالصفاء والتفهّم، فلا يشعر المذنب باننا ننبذه أو نحرمه من حبنا وتقديرنا[١٠٩].

الخلاصة

الغيرة الاخوية ظاهرة بالغة الإزعاج للوالدين، ليس فقط لما يرافقها من اضطراب وسلبية في سلوك طفل ربما كان لا يُشكى منه إلى حين بروزها، بل لانها تصدّع أيضاً الصورة المثالية التي يميلون الى رسمها عن طبيعة العلاقة الاخوية، والتي يرغبون ان يروها مُجسَّدة لدى أولادهم، الا وهي صورة المحبة الخالصة التي لا تشوبها شائبة ولا يعكّر صفوها أي خلاف. انهم، بتصورهم هذا، يتناسون ما اختبروه في طفولتهم ــ وما قد تكون بصماته لا تزال بادية في نفسيتهم وتصرفاتهم ــ من ازدواجية في المشاعر حيال الاخوة والاخوات، ومن اختلاط التنافس والتحاسد والضيق والنفور بالمودة والتعاطف والتآلف والتعاون. أي انهم، من حيث لا يشعرون، يطالبون أطفالهم ــ الذين لا يزالون الى حدٍّ كبير كائنات تتحكم بها النزوات الغريزية ــ يطالبونهم بمحبة لا يقوى الانسان على مقاربتها الا عبر مسيرة طويلة من التسامي والنضج يتجاوز من خلالها تدريجياً ازدواجية المشاعر التي تشوب بالاصل كل حبّ، نتيجة للاستيلائية والاستئثارية المختلطتين به لا محالة في أول الطريق.

ثم ان هذه المطالبة اللاواقعية التي كثيراً ما ينقاد اليها الوالدون من حيث لا يدرون، تزيد وضع أطفالهم الغيورين تعقيداً. ذلك ان الغيرة انما هي بحد ذاتها وضع يتميز بالتمزّق. فهي علاقة

بخصم حميم أو صديق لدود، اذا صحّ التعبير. اي انها علاقة متأزمة أصلاً ومتسمة بالصراع. فإذا ما واجه الطفل، الى ذلك التناقض في مشاعره الذاتية، مطالبة الأهل له بكمال مستحيل، أضيف، على معاناته الداخلية، صراع مع أقرب الناس اليه وأحوجه اليهم، فزادت من جراء ذلك متاعبه. واذا تذكرنا ان المحرك الاساسيّ للغيرة الاخوية انما هو التنافس على الاستئثار بمحبة الوالدين واهتمامهم وتقديرهم[١١٠]، أدركنا ان الموقف السلبي الذي يقفه هؤلاء من ولدهم الغيور، من شأنه أن يغذي لديه الشعور بالنبذ والهامشية، وأن يؤجّج فيه، نتيجةً لذلك، مشاعر الغيرة، التي تستتبع بدورها مزيداً من الاستهجان الوالديّ، وهكذا دواليك في دوّامة لا تنتهي.

لذا فالمطلوب من الأهل، اذا شاؤوا الخروج من هذا المأزق ومساعدة أولادهم على الخروج منه، أن يُبدوا ملء التفهّم للمحنة التي يعيشها الولد الغيور ــ وهي محنة اضطراره الى أن يقتسم مع سواه حباً واهتماماً ينزع بكل جوارحه الى الاستئثار بهما بدافع ضعفه وقصوره ــ وان يدركوا ان سلبيات مشاعره وتصرفاته ما هي سوى تعبير عن هذه المحنة ومحاولات رعناء لاستجداء عطف الأهل وانتباههم. ان تفهمهم هذا لهو عنصر أساسيّ لمساعدة الولد على حل مشكلته، ولذا اخترنا عنواناً للطبعة الثانية من هذا الكتاب « الغيرة الاخوية وتفهّم الوالدَين ». المطلوب منهم، اكثر من ذلك، ان يسمحوا للولد بالتعبير عن المشاعر السلبية التي تعتمل فيه، شرط ان لا يؤدي هذا التعبير الى أعمال

مؤذية، علماً بان التعبير اللفظيّ أو الرمزيّ يضعف حاجة الولد الى الاقدام على مثل هذه الأعمال.

فإذا ما أحسّ الولد الغيور بانه مقبول من والدَيه كما هو، ببؤسه وإحباطه وتمزّقه وسلبياته وعدوانيته، أشاع ذلك في نفسه أماناً واطمئناناً من شأنهما أن يخفّفا تدريجياً من حدّة الغيرة، التي إن هي في آخر المطاف الا مسعى الى تأكيد الوجود وحمايته. خاصةً اذا رافق هذا التفهم لمشاعر الولد وهذا السماح له بالتعبير عنها، موقف والديّ يتقبّل كل ولد بفرادته ويسمح لهويته الذاتية أن تكون، بدل شدّه، بالمقارنة، الى سواه من الاخوة، وإشعاره بانه لن يحصل على الرضى الا اذا تنكّر لذاته وخصوصياتها وأصبح صورة عن الآخر. شعور الولد، من خلال موقف الوالدين المتفهم المتقبّل، انه مهمّ بذاته ولذاته، يمنحه ثقة عميقة بنفسه ومحيطه والعالم والحياة، ويحرّره بالتالي من هذا القلق الوجوديّ الذي هو محرّك الغيرة ومُذكيها.

معالجة الغيرة تكون اذاً بردّ الاعتبار والاطمئنان الى الغيور، الذي يتوهّم ان منافسه الاخويّ يسرق منه الوجود بمجرد وجوده الى جانبه، وان ما يبديه هو من سلبية في الدفاع عن وجوده المهدَّد، يساهم في إبعاد الأهل عنه ويمعن بالتالي في إنتزاع الوجود منه. فإذا اطمئنّ الغيور الى كيانه وأهميته، صار بإمكانه، من جهة، أن ينسلخ تدريجياً عن التشبث بالحب الوالديّ، وأن يسير بإقدام في خط التمايز والنموّ، وأن يحرز بالتالي شيئاً فشيئاً استقلالاً يمكّنه من الإتكال على نفسه والوقوف على قدميه.

ولكنه، بالمقابل، وبقدر حصوله على هذا الاستقلال، لا يعود بحاجة الى الاستئثار بحب الوالدَين، ويصير قادراً، من ثم، على ان لا يخشى خطراً على ذاته، اذا ما اقتسم هذا الحبّ مع سواه وشاركهم فيه. هكذا فان الأهل، بموقفهم المتفهم والايجابيّ من الغيور، يسمحون للغيرة ان تؤول الى البناء لا الى الأذى والهدم، فلا تحطّم محنتها الولد ولا تشوهه، بل تنتزعه بقسوتها من وهم امتلاك الوجود بكليته عبر الاندماج الذوبانيّ بالوالدَين، وتدفعه في طريق الاستقلال والمشاركة.

إنما لا يتعلم أولادنا هذا الاستقلال وهذه المشاركة الا عبر خوضهم لخلافات في ما بينهم ومآزم ومصادمات ومشاجرات، علينا، كما أشرنا، ان نتلافى قدر الإمكان التدخّل فيها كي لا نمعن في شدّ الاولاد الينا من خلال احتكامهم الى سلطتنا، بدل أن يتعلموا ــ عبر الصراع ــ تلك القاعدة الاساسية للحياة الاجتماعية والعلاقة الانسانية، الا وهي أن يؤكّد المرء ذاته مع مراعاة حقوق الآخرين وكرامتهم.

قد تُريعنا العدوانية التي تفرزها تلك الصراعات، مما يغرينا بالتدخل فيها بشكل انفعالي ومنحاز لا يؤول الى شيء سوى الى استفحالها وتكرارها. علينا أن نحمي أنفسنا من هذا الخطر بتذكّرنا ان العدوانية، بحد ذاتها، من مقومات الحياة. وانه لا يمكن ولا يجب إبطالها بل العمل على صقلها وتهذيبها؛ وان العدوانية التي يبديها اولادنا في ما ينشب بينهم من مشاجرات انما هي، الى حدٍ كبير، من باب اللعب؛ وان مواجهتها بصفاء

هو خير وسيلة لكي تنتقل عدوى هدوئنا الى أولادنا. تقول احدى المربيات: « لا ننسَ ان سلوك الاولاد يرتبط كثيراً بسلوك الأهل: فهل أنتم هادئون ؟ »[١١١].

إن غيرة اولادنا هي من أهمّ وسائل تربيتهم لنا على رحابة الصدر وهدوء الأعصاب.

الحواشي

(١) راجع:

Anna FREUD: Initiation à la psychanalyse pour éducateurs (1930 et 1947-1953), traduit de l'allemand par Catherine DELALANDE, Ed. Privat, Toulouse, 1968, p.25.

(٢) راجع:

Charles BAUDOUIN: L'Ame enfantine et la Psychanalyse, tome1, 3e édition, Ed. Delachaux et Niestlé, Neuchâtel – Paris, 1954, p.24.

(٣) راجع:

Dr Maurice POROT: L'Enfant et les relations familiales, P.U.F., Paris, 1954, p.178.

(٤) راجع:

Edmund ZIMAN: La Jalousie chez les enfants (Jealousy in Children, New York), traduit et adapté par Mme D.MAZÉ, Ed. du Scarabée, Paris, 1959, pp. 27-28.

راجع أيضاً:

Anna FREUD: op. cit, pp 27-28.

(٥) راجع:

A.S. NEILL: Libres enfants de Summerhill, Ed. Maspéro, Paris, 1973, pp.267-277.

(٦) راجع:

Louis MILLET: L'Agressivité, Ed. Universitaires, Paris, 1970, p.56.

(٧) راجع:

Paul OSTERRIETH: L'Enfant et la Famille, Ed. du Scarabée, Paris, 1957, p.159.

(٨) راجع:

Paul OSTERRIETH: op. cit., pp. 157-160.
A.S. NEILL: op. cit., pp. 278-279.

(٩) راجع:

Dr Maurice POROT: L'Enfant et les Relations familiales, op. cit., p. 186.

(١٠) راجع:

Dr Alfred ADLER: L'Enfant difficile. Technique de la psychologie individuelle comparée, traduit de l'allemand par le Dr Herbert SCHAFFER, PBP, Paris, 1978, p.62.

(١١) المرجع نفسه، ص ١٢٢. راجع أيضاً:

Dr Alfred ADLER: Ecole et Psychologie individuelle comparée (Individualpsychologie in der Schule, 1929), traduction du Dr H. SCHAFFER, PBP, Paris, 1975, p. 159.

(١٢) راجع:

Dr A. ADLER: Ecole et Psychologie individuelle comparée, op. cit., p.159.

(١٣) راجع:

Dr A. ADLER: L'Enfant difficile, op. cit., p.210.

(١٤) راجع:

Dr A. ADLER: L'Enfant difficile, op. cit., p.122.
Dr A. ADLER: Ecole et Psychologie individuelle comparée, op. cit., p.159.

(١٥) راجع:

TRAPMANN, LIEBETRAU, ROTTHAUS: Les Petits Problèmes de nos enfants (Auffäliges Verhalten im Kindesalter, Dortmund, 1970), traduit de l'allemand par Bernard KAPP et Marcel NEUSCH, Ed. du Centurion, Paris, 1973, p.212.

(١٦) راجع:

C. BAUDOUIN: op. cit., p.28.

(١٧) راجع:

Claude KOHLER et Paule AIMARD: De l'Enfance à l'Adolescence, Ed. Casterman, Tournai – Paris, 1970, p.38.

(١٨) راجع:

Marie GATARD: Jamais deux fois la même histoire, p.16, in Frères et Sœurs: vivre ensemble (enquête), pp.16-18, «Le Monde de l'Education», Paris, n° 89, décembre 1982, pp.10-24.

(١٩) راجع:

Louis CORMAN: Psycho-Pathologie de la Rivalité fraternelle, Ed. Charles Dessart, Bruxelles, 1970, pp.249 et 265.

(٢٠) راجع:

Louis CORMAN: L'Examen psychologique d'un enfant, Ed. Charles Dessart, Bruxelles, 1968, p.255.

(٢١) راجع:

C. BAUDOUIN: op. cit., p.27.
Georges MAUCO: Psychanalyse et Education, Ed. Aubier-Montaigne, Paris, 1967, pp.102 et 111.

(٢٢) راجع:

L. CORMAN: Psycho-Pathologie de la rivalité fraternelle, op. cit., p.266.

(٢٣) راجع:

Paulette CAHN: La Relation fraternelle chez l'enfant, P.U.F., Paris, 1962, pp.5-6.

(٢٤) راجع:

Sigmund FREUD: L'Interprétation des rêves (Die Traumdeutung, 1899), traduit en français par I. MEYERSON, nouvelle édition augmentée et entièrement révisée par Denise BERGER, P.U.F., Paris, 1967, p.219.

(٢٥) راجع:

C. BAUDOUIN: op. cit., pp.21-22.

(٢٦) راجع:

C. BAUDOUIN, op. cit., pp.21-22.

(٢٧) راجع:

S. FREUD: op. cit., p.220.

(٢٨) راجع:

Karl ABRAHAM: La Psychanalyse source de connaissance anthropologique (1920), p.199, in OEuvres complètes, tome 2, traduit de l'allemand par Ilse BARANDE avec la collaboration de Elisabeth GRIN, P.B.P., Paris, 1977, pp.191-210.

(٢٩) راجع:

C. BAUDOUIN: op. cit., p.21.

(٣٠) راجع:

A. ADLER, Ecole et Psychologie individuelle comparée, op. cit., p.115.

(٣١) راجع:

Paulette CAHN: op. cit., p.7.

(٣٢) راجع:

Marie GATARD: Jamais deux fois la même histoire, art. cit., p.16.

(٣٣) راجع:

S. FREUD: Un souvenir d'enfance dans Fiction et Vérité de Gœthe (1917), in Essais de Psychanalyse appliquée, traduit de l'allemand par Marie BONAPARTE et Mme E. MARTY, Coll. «Idées», Ed. Gallimard, Paris, 1971, pp.149-161.

(٣٤) راجع:

S. FREUD: op. cit.

(٣٥) راجع:

C. BAUDOUIN: L'Ame enfantine et la Psychanalyse, tome2, Ed. Delachaux et Niestlé, Neuchâtel – Paris, 1951, pp.200-201.

(٣٦) راجع:

L. CORMAN: L'Examen psychologique d'un enfant, op. cit., p.256.

(٣٧) راجع:

Selma H. FRAIBERG: Les Années magiques. Comment comprendre et traiter les problèmes de la première enfance (The Magic Years. Understanding and Handling the Problems of Early Childhood, New York, 1959), traduction de Françoise MER, P.U.F., Paris, 1967, p.162.

(٣٨) راجع:

Otto FÉNICHEL: La Théorie psychanalytique des névroses (The Psychoanalytic Theory of Neurosis, New York), traduit de l'anglais par M. SCHLUMBERGER, C. PIDOUX, M. CAHEN et M. Fain, tomel, P.U.F., Paris, 1953, p.220.

(٣٩) راجع:

Louis CORMAN: Psycho-Pathologie de la rivalité fraternelle, op. cit., p.273.

(٤٠) ان مما يؤكد هذا الارتباط الصميم بين النشاط من جهة والنزعة العدوانية من جهةٍ أخرى، ما يلاحَظ في حالات غير قليلة عند معالجة أولاد مكبَّلي النشاط ويعانون من تخلّف مدرسيّ بالغ، عن طريق التعبير المسرحيّ عن مشاكلهم وانفعالاتهم psychodrame. اذ انه، بعد عدد من الجلسات، يتفلت العدوان بشكل غير متوقّع عند هؤلاء الاولاد الذين كانوا حتى ذلك الحين يتميّزون بالبلادة والجمود، ويمتدّ هذا العدوان، أحياناً غير قليلة، بعد انفلاته، الى سلوك الولد المنزليّ، فيشكو الأهل من هذا السلوك الجديد لولدهم، ولكنهم يلاحظون ان هذا الأخير أخذ منذ العلاج يتقدم في عمله المدرسيّ بشكل ملحوظ. وكأن انطلاق العدوان ــ بشكل عشوائي للوهلة الاولى ــ سمح بتحرير طاقة النشاط المرتبطة به. راجع:

L. CORMAN, Psycho-Pathologie de la rivalité fraternelle, op. cit., pp.273-274.

(٤١) هذا ما صاغته الاخصائية النفسية مدام كوديه بالعبارات التالية: « كيف السبيل الى استرجاع أمي اليّ ؟ بأن أعود طفلاً صغيراً ». راجع:

Mme Codet, citée par Charles BAUDOUIN: l'Ame enfantine et la Psychanalyse, tome2, op. cit., p.125.

(٤٢) وبهذا الصدد يجدر بنا التأمل في هذه الملاحظة للدكتور ألفرد أدلر:

« إذا ما أُزيح ولد عن موقع مُرِيح، فلسوف يحاول أن يستعيد بكل الوسائل هذا الوضع الذي سمح له بأن يكون في مركز الاهتمام. ويثبت له الاختبار ان بعض العادات السيئة تجتذب بشكل خاص انتباه الأهل. فإذا ما لاحظ الولد ذلك، يصبح من الصعب جداً إبطال تعوّده على هذا العيب الذي أظهر له اختباره الشخصي انه نافع له. فبدافع ميله الى اجتذاب انتباه ذويه، يذهب الولد الى حدّ قبول العقوبات، شرط ان يشعر فقط بانه موجود في مركز انتباه محيطه ».

Dr A. ADLER: L'Enfant difficile, op. cit., p.56.

(٤٣) راجع:

Anna FREUD: Le Normal et le Pathologique chez l'enfant (Normality and Pathology in Childhood, 1965), traduit de l'anglais par le Dr Daniel WIDLÖCHER, NRF, Gallimard, Paris, 1968, pp. 161-162.

(٤٤) البوال هو التبويل اللاإراديّ واللاشعوريّ غير المسبَّب من مرض في الجهاز البوليّ أو العصبيّ. وهو على نوعين: أولي، اذا لم يتوصل الطفل إلى اكتساب النظافة البولية بعد بلوغه الثلاث سنين (علماً بان البوال بين الثالثة والرابعة يُعتبَر مجرد تأخر في اكتساب النظافة، ولا يصبح ثابتاً الا بعد بلوغ الولد الاربعة أعوام)؛ وثانوي، اذا برز بعد حقبة، تقصر أو تطول، من النظافة البولية الكاملة.

والبوال هو في معظم الحالات ليليّ فقط (هذا مع العلم ان اكتساب النظافة البولية الليلية كثيراً ما يتخلّف زمنياً عن اكتساب النظافة البولية النهارية)، وقد يكون نهارياً أو مختلطاً (ليلياً ونهارياً معاً) في حالات نادرة نسبياً. معظم حالات البوال تشفى عند البلوغ، لذا فهو نادر جداً عند الراشد، بينما هو، بالعكس، عند الطفل، من الأعراض العصبية الاوسع انتشاراً. هذا وان نسبته عند الاولاد الذكور تفوق نسبته عند الاولاد الاناث. أما أسبابه فهي نفسية في الاساس، دون استبعاد بعض الاستعدادات العضوية. راجع:

R. BASCOU: article «Enurésie», in Vocabulaire de Psychopédagogie et de Psychiatrie de l'Enfant, P.U.F., Paris, 1963, pp.214-215.
Dr Alain RIDEAU: 400 difficultés et problèmes chez l'enfant, article «Enurésie», pp.104-107, C.E.P.L., Paris, 1971.

(٤٥) راجع:

Selma FRAIBERG: Les Années magiques, op. cit., p.162.

راجع أيضاً:

Paulette CAHN: La Relation fraternelle chez l'enfant, op. cit., p.7.

(٤٦) راجع:

Walter J. Schraml: Initiation à la Pédagogie psychanalytique (Einführung in die Tiefenpsychologie für Pädagogen und Sozialpädagogen, Stuttgart, 1968), Ed. Salvator, Mulhouse, 1970, pp.206-207.

(٤٧) راجع:

Fitzhugh DODSON: Tout se joue avant six ans (How to parent, 1970), traduit de l'anglais par Yvon GEFFRAY, Nouvelles Editions Marabout, Verviers, 1980, p.114.

(٤٨) راجع:

Marie GATARD: Jamais deux fois la même histoire, art. cit, p.16.
F. DODSON: Tout se joue avant six ans, op. cit., pp.114-115.

(٤٩) راجع:

Dr André BERGE: Les Défauts de l'enfant, PBP, Paris, 1968, p.79.

(٥٠) راجع: المرجع المذكور، ص ٧٨.

(٥١) كانت والدة شابة تشكو مَرَّة امامي من الغيرة الشديدة التي كانت ترى ولداً صغيراً لها يبديها حيال أخت له أكبر منه سناً. وكانت تقول بحرقة، وهي مؤمنة متمسكة، انها لم تتوقع قطّ أن يشعر أولادها بغير المحبة الخالصة بعضهم تجاه بعض فأجبتُها بأن المحبة الخالصة هذه ليست في مستهلّ الطريق، وان تفهمها لما يعتري ولدها بشكل طبيعي من المشاعر العدائية، من شأنه أن يساعده على تخطي تلك المشاعر.

(٥٢) راجع:

Rudolf DREIKURS (avec la collaboration de Vicki Solz): Le Défi de l'enfant (Children: The challenge, New York, 1964), traduction et adaptation de Ivé Leschallier de l'ISLE, Coll. «Réponses», Ed. R. Laffont, Paris, 1978, p.233

(٥٣) راجع:

Edmund ZIMAN: La Jalousie chez les enfants, op. cit., pp.61,81,91.

(٥٤) راجع: المرجع نفسه، ص ١٣٠ ــ ١٣١.

(٥٥) راجع: المرجع نفسه، ص ٩١.

(٥٦) راجع:

Dr André BERGE: Les Défauts de l'enfant, op. cit., pp.80-81.

(٥٧) راجع:

F. DODSON: Tout se joue avant six ans, op. cit, p.116.

(٥٨) راجع:

Marlène LEIST: L'Enfant et Dieu (New Wege der religiöses Erziehung, Munich, 1967; 3e éd., 1968), traduit de l'allemand par A. LIEFOOGHE, Desclée, Paris, 1970, p.140.

(٥٩) راجع:

R. DREIKURS: Le Défi de l'enfant, op. cit., pp.101-102.

(٦٠) راجع:

Fitzhugh DODSON: Le Père et son enfant (How to Father, Los Angeles, 1974), traduit de l'américain par Yvon GEFFRAY (1975), Nouvelles Editions Marabout, Verviers, 1980, pp.56-63.
F. DODSON: Tout se joue avant six ans, op. cit., p.116.

(٦١) راجع:

S. FRAIBERG: Les Années magiques, op. cit., pp.158-162.

(٦٢) راجع:

F. DODSON: Tout se joue avant six ans, op. cit., pp.149-150.

(٦٣) راجع قائمة المصطلحات النفسية في:
د. مصطفى حجازي: الفحص النفساني، دار الطليعة، بيروت، ١٩٧٩، ص٢٥٣. وللاطلاع على شرح مضمون هذا المصطلَح، راجع:
د. مصطفى حجازي: التخلف الاجتماعي. سيكولوجية الانسان المقهور، ط٢، معهد الانماء العربي، بيروت، ١٩٨٠، ص ٢٥٠ ــ ٢٥١.

(٦٤) راجع:
د. مصطفى حجازي: الفحص النفساني. مبادئ الممارسة النفسانية، دار الطليعة، بيروت، ١٩٧٩، ص ١٣٧ ــ ١٣٨.
راجع أيضاً حادثة مماثلة مذكورة في:

Colette HOVASSE: Liberté et Autorité devant les enfants de notre temps, Ed. du Centurion, Paris, 1965, pp.91-92.

(٦٥) راجع:

Dr. André BERGE: Les Défauts de l'enfant, op. cit., p.80.

(٦٦) راجع:

S. FREUD (1893), cité par Anna FREUD: Le Normal et le Pathologique chez l'Enfant, op. cit., p.25.

(٦٧) راجع:

R. CLOUTIER et L. DIONNE: L'Agressivité chez l'enfant, Edisem – Le Centurion, Paris, 1981, p.27; cf. aussi pp.30-31.

(٦٨) راجع:

S. FRAIBERG: op. cit., pp.159-160.

(٦٩) راجع:

Dr André ARTHUS: Un Monde inconnu: nos enfants, Ed. Casterman, Tournai – Paris, p.103.

(٧٠) راجع:

F. DODSON: Tout se joue avant six ans, op. cit., pp.96-97.
F. DODSON: Le Père et son enfant, op. cit., pp.106, 107-108, 110.

(٧١) راجع:

Nicole FABRE: Le Signe de la Baleine. Essai sur la Foi et L'Inconscient, Ed. du Cerf, Paris, 1981, pp.38-41.

(٧٢) راجع:

Irène LÉZINE: Psychopédagogie du premier âge, P.U.F., Paris, 1964, p.162.

(٧٣) راجع:

Dr André ARTHUS: Adolescence, Les Editions Ouvrières, Paris, 1966, p.135.

(٧٤) راجع:

F. DODSON: Tout se joue avant six ans, op. cit., pp.115-116.

(٧٥) راجع:

R. DREIKURS: Le Défi de l'enfant, op. cit., pp.22 et 99.

(٧٦) أو بتأثير ما تردّده الأمهات في مجتمعاتنا على مسمع من أولادهنّ من نوع: « ما أحلاهن وقت بيكونوا صغار » أو « بيكبروا وبيكبر همهم معهم »... راجع بهذا الصدد:

Dr André BERGE: L'Enurésie, p.194, appendice à: Le Métier de Parent, Ed. Aubier – Montaigne, Paris, 1956, pp.183-195.

(٧٧) راجع:

C. KOHLER et P. AIMARD: De l'enfance à l'adolescence, op. cit., pp.37-38.

(٧٨) راجع:

Dr M. POROT: L'Enfant et les Relations familiales, op. cit., pp.184-185.

(٧٩) راجع:

E. ZIMAN: La jalousie chez les enfants, op. cit., p.81.

(٨٠) راجع: المرجع نفسه، ص ١٠١.

(٨١) راجع:

Dr André ARTHUS: Un Monde inconnu: nos enfants, Ed. Casterman, Tournai – Paris, 1964, p.110.

(٨٢) راجع:

Ecole des Parents: L'Enfant jaloux parmi ses frères et sœurs, p.162, in Les Difficultés de votre enfant, Le Livre de Poche, Paris, 1974, pp.157-167.

(٨٣) راجع:

E. ZIMAN: op. cit., p.103.

(٨٤) راجع:

Dr Françoise DOLTO: Le travail psychothérapique, p.55, in L'Inadaptation scolaire et sociale et ses remèdes, Ed. Bourrelier, Paris, 1961, pp.49-59.

(٨٥) راجع:

Marie GATARD: Jamais deux fois la même histoire, art. cit., p.17.

(٨٦) راجع: المقال نفسه، ص ١٧٠.

(٨٧) راجع:

C. Hovasse: Liberté et Autorité devant les enfants de notre temps, op. cit., p.92.

(٨٨) راجع:

C. BAUDOUIN: L'Ame enfantine et la Psychanalyse, T.1, op. cit., pp.25-26.

(٨٩) راجع:

Dr A. BERGE: L'Enurésie, art. cit., pp.194-195.

(٩٠) راجع:

Dr. André BERGE: L'Enfant au caractère difficile, Ed. Hachette, Paris, 1970, p.63.
Dr Bernard MULDWORF: Le Métier de Père, Ed. Casterman, Tournai – Paris, 1972, pp.129-133.

(٩١) راجع:

Denise SAADA: L'Enfant et les Grandes Personnes, Ed. Aubier – Montaigne, Paris, 1968, pp.73-74.

(٩٢) هذا مع العلم بان الأصغر هو، في كثير من الأحوال، أكبر بالنسبة لمن يليه، مما يجعله في وضع المضطرّ إلى المحاربة على جبهتين.

(٩٣) راجع:

E. ZIMAN: La Jalousie chez les enfants, op. cit., pp.83 et 94.

(٩٤) راجع:

Marie GATARD: Jamais deux fois la même histoire, art. cit., p.17.

(٩٥) راجع:

Philippe MALRIEU: La Vie affective de l'Enfant, Ed. du Scarabee, Paris, 1956, p.84, note 1.

(٩٦) راجع:

Nicole FABRE: L'Education familiale et ses problèmes, Fayard – Mame, Paris, 1968, pp.97-98.

(٩٧) راجع:

TRAPMANN, LIEBETRAU, ROTTHAUS: Les Petits Problèmes de nos enfants, op. cit., p.218.

(٩٨) راجع: المرجع نفسه، ص ٢١١ ــ ٢١٢.

(٩٩) راجع: المرجع نفسه، ص ٢١٨ ــ ٢١٩.

(١٠٠) راجع:

Marie GATARD: Jamais deux fois la même histoire, art. cit., pp.16-17.

(١٠١) راجع:

Françoise DOLTO: Lorsque l'enfant paraît, tome3, Ed. du Seuil, Paris, 1979, p.90.

(١٠٢) راجع:

E. ZIMAN: La Jalousie chez les enfants, op. cit., pp.59,86,122,137.
Ecole des Parents: L'Enfant jaloux parmi ses frères et sœurs, art. cit., pp.166-167.

(١٠٣) راجع:

Nicole FABRE: L'Education familiale et ses problèmes, op. cit., pp.95-96.

(١٠٤) راجع:

Dr André BERGE: Le Métier de Parent, op. cit., pp.98-100.

(١٠٥) راجع:

R. DREIKURS: Le Défi de l'enfant, op. cit., pp.156-169.

(١٠٦) راجع:

Jacqueline DANA: La Constellation familiale, Coll. «Réponses», Ed. R. Laffont, Paris, 1978, p.191.

(١٠٧) راجع:

R. DREIKURS: op. cit., pp. 168-169.

(١٠٨) راجع:

F. DODSON: Le Père et son Enfant, op. cit., p.229.

(١٠٩) راجع:

E. ZIMAN: La Jalousie chez les enfants, op. cit., p.59.

(١١٠) يقول الدكتور دودسون: « ينبغي بادئ ذي بدء فهم أسباب الغيرة. ان كلّ ولد، في أعمق أعماقه، يودّ لو يتخلص من إخوته وأخواته ويستأثر لوحده بحب أهله واهتمامهم ». راجع:

F. DODSON: Le Père et son Enfant, op. cit., p.229.

(١١١) راجع:

Marie GATARD: Jamais deux fois la même histoire, art. cit., p.17.

المراجع

١ ــ حجازي، مصطفى (د.): الفحص النفساني. مبادئ الممارسة النفسانية، دار الطليعة، بيروت، ١٩٧٩.

٢ ــ حجازي، مصطفى (د.): التخلف الاجتماعي. سيكولوجية الانسان المقهور، الطبعة الثانية، معهد الإنماء العربي، بيروت، ١٩٨٠.

3 – ABRAHAM, Karl: La Psychanalyse source de connaissance anthropologique (1920), in OEuvres Complètes, tome2, traduit de l'allemand par Ilse BARANDE avec la collaboration de Elisabeth GRIN, PBP, Paris, 1977.

4 – ADLER, Alfred (Dr): Ecole et Psychologie individuelle comparée (Individualpsychologie in der Schule, 1929), traduction du Dr H. SCHAFFER, PBP, Paris, 1975.

5 – ADLER, Alfred (Dr): L'Enfant difficile. Technique de la psychologie individuelle comparée, traduit de l'allemand par le Dr Herbert SCHAFFER, PBP, Paris, 1978.

6 – ARTHUS, André (Dr): Un Monde inconnu: nos enfants, Ed Casterman, Tournai – Paris, 1964.

7 – ARTHUS, André: Adolescence, Les Editions Ouvrières, Paris, 1966.

8 – BASCOU, R.: article «Enurésie», in Vocabulaire de Psychopédagogie et de Psychiatrie de l'Enfant, P.U.F., Paris, 1963.

BAUDOUIN, Charles: L'Ame enfantine et la Psychanalyse, tome1, 3e édition, Ed. Delachaux et Niestlé, Neuchâtel - Paris, 1954. – 9
BAUDOUIN, Charles: L'Ame enfantine et la Psychanalyse, tome2, Ed. Delachaux et Niestlé, Neuchâtel – Paris, 1951. – 10
BERGE, André (Dr): Le Métier de Parent, Ed. Aubier – Montaigne, Paris, 1956. – 11
BERGE, André (Dr): Les Défauts de l'Enfant, PBP, Paris, 1968. – 12
BERGE, André (Dr): L'Enfant au caractère difficile, Ed. Hachette, Paris, 1970. – 13
CAHN, Paulette: La Relation fraternelle chez l'enfant, P.U.F., Paris, 1962. – 14
CLOUTIER, R. et DIONNE, L.: L'Agressivité chez l'enfant, Edisem – Le Centurion, Paris, 1981. – 15
CORMAN, Louis: L'Examen Psychologique d'un enfant, Ed. Charles Dessart, Bruxelles, 1968. – 16
CORMAN, Louis: Psycho-Pathologie de la Rivalité fraternelle, Ed. Charles Dessart, Bruxelles, 1970. – 17
DANA, Jacqueline: La Constellation familiale, Coll. «Réponses», Ed. R. Laffont, Paris, 1978. – 18
DODSON, Fitzhugh: Tout se joue avant six ans (How to parent, 1970), traduit de l'anglais par Yvon GEFFRAY, Nouvelles Editions Marabout, Verviers, 1980. – 19
DODSON, Fitzhugh: Le Père et son Enfant (How to Father, Los Angeles, 1974), traduit de l'américain par Yvon GEFFRAY (1975), Nouvelles Editions Marabout, Verviers, 1980. – 20
DOLTO, Françoise (Dr): Le Travail Psychothérapique, – 21

in l'Inadaptation scolaire et sociale et ses remèdes. L'action des centres psycho-pédagogiques des établisements d'enseignement. Sous la direction de Georges MAUCO, «Cahiers de Pédagogie Moderne», Ed. Bourrelier, Paris, 1961, pp.49-59.
DOLTO, Françoise: Lorsque l'enfant paraît, tome3,- 22
Ed. du Seuil, Paris, 1979.

DREIKURS, Rudolf (avec la collaboration de Vicki – 23
SOLZ): Le Défi de l'Enfant (Children: The challenge, New York, 1964), traduction et adaptation de Ivé Leschallier DE L'ISLE, Coll. «Réponses», Ed. R. Laffont, Paris, 1978.
ECOLE DES PARENTS (L'): L'Enfant jaloux parmi – 24
ses frères et sœurs, in Les difficultés de votre enfant, Le Livre de Poche, Paris, 1974, pp.157-167.
FABRE, Nicole: L'Education familiale et ses – 25
problèmes, Fayard – Mame, Paris, 1968.
FABRE, Nicole: Le Signe de la Baleine. Essai sur la – 26
Foi et l'Inconscient, Ed. du Cerf, Paris, 1981.
FÉNICHEL, Otto: La Théorie psychanalytique des – 27
névroses (The Psychoanalytic Theory of Neurosis, New York), traduit de l'anglais par M. SCHLUMBERGER, C. PIDOUX, M. CAHEN et M.FAIN, tome1, P.U.F., Paris, 1953.
FRAIBERG, Selma H.: Les Années magiques. – 28
Comment comprendre et traiter les problèmes de la première enfance (The Magic Years. Understanding and handling the problems of Early Childhood, New York, 1959), traduction de Françoise MER, P.U.F., Paris, 1967.
FREUD, Anna: Initiation à la psychanalyse pour – 29

éducateurs (1930 et 1947 – 1953), traduit de l'allemand par Catherine DELALANDE, Ed. Privat, Toulouse, 1968.
FREUD, Anna: Le Normal et le Pathologique chez – 30
l'enfant (Normality and Pathology in Childhood, 1965), traduit de l'anglais par le Dr Daniel WIDLÖCHER, NRF, Gallimard, Paris, 1968.
FREUD, Sigmund: l'Interprétation des Rêves (Die – 31
Traumdeutung, 1899), traduit en français par I. MEYERSON, nouvelle édition augmentée et entièrement révisée par Denise BERGER, P.U.F., Paris, 1967.
FREUD, Sigmund: Un souvenir d'enfance dans Fiction – 32
et Vérité de Gœthe (1917), in Essais de Psychanalyse appliquée, traduit de l'allemand par Marie BONAPARTE et Mme E. MARTY, Coll. «Idées», Ed. Gallimard, Paris, 1971.
GATARD, Marie: Jamais deux fois la même histoire, – 33
in Frères et Sœurs: vivre ensemble (enquête), «Le Monde de l'Education», Paris, n°89, décembre 1982, pp.10-24.
HOVASSE, Colette: Liberté et Autorité devant les – 34
enfants de notre temps, Ed. du Centurion, Paris, 1965.
KOHLER, Claude et AIMARD, Paule: De l'Enfance – 35
à l'Adolescence, Ed. Casterman, Tournai – Paris, 1970.
LEIST, Marlène: L'Enfant et Dieu (Neue Wege der – 36
religiöses Erziehung, Munich, 1967; 3e éd. 1968), traduit de l'allemand par A. LIEFOOGHE, Desclée, Paris, 1970.
LÉZINE, Irène: Psychopédagogie du premier âge, – 37

P.U.F., Paris, 1964.
MALRIEU, Philippe: La Vie affective de l'Enfant, – 38
Ed. du Scarabée, Paris, 1956.
MAUCO, Georges: Psychanalyse et Education, Ed. – 39
Aubier – Montaigne, Paris, 1967.
MILLET, Louis: L'Agressivité, Ed. Universitaires, – 40
Paris, 1970.
MULDWORF, Bernard (Dr): Le Métier de Père, Ed. – 41
Casterman, Tournai – Paris, 1972.
NEILL, A.S.: Libres enfants de Summerhill, traduit – 42
de l'anglais par Micheline LAGUILHOMIE, Ed.
François Maspéro, Paris, 1973.
OSTERRIETH, Paul: L'Enfant et la Famille, Ed. du – 43
Scarabée, Paris, 1957.
POROT, Maurice (Dr): L'Enfant et les relations – 44
familiales, P.U.F., Paris, 1954.
RIDEAU, Alain (Dr): 400 difficultés et problèmes chez – 45
l'enfant, article «Enurésie», pp.104-107, C.E.P.L.,
Paris, 1971.
SAADA, Denise: L'Enfant et les Grandes Personnes, – 46
Ed. Aubier – Montaigne, Paris, 1968.
SCHRAML, Walter J.: Initiation à la Pédagogie – 47
psychanalytique (Einführung in die Tiefenpsychologie
für Pädagogen und Sozialpädagogen, Stuttgart, 1968),
Ed. Salvator, Mulhouse, 1970.
TRAPMANN, LIEBETRAU, ROTTHAUS: Les Petits – 48
Problèmes de nos enfants (Auffäliges Verhalten im
Kindesalter, Dortmund, 1970), traduit de l'allemand
par Bernard KAPP et Marcel NEUSCH, Ed. du
Centurion, Paris, 1973.

ZIMAN, Edmund: La Jalousie chez les Enfants – 49
(Jealousy in Children, New York), traduit et adapté
par Mme D. MAZÉ, Ed. du Scarabée, Paris, 1959.

للمؤلف

الجنس ومعناه الانساني طبعة ثالثة منشورات النور
مع تساؤلات الشباب طبعة ثالثة منشورات النور
خلاف الأهل والأبناء طبعة ثانية مزيدة منشورات النور
الحرية والشباب على ضوء المأساة اللبنانيةطبعة ثانيةمنشورات النور
تعليم الفتاة وآفاق المرأة منشورات النور
هواجس شبابية حول الأسرة والحب منشورات النور
ندوات شبابية حول الصداقة والاسرة والخجلمنشورات النور

« نحن وأولادنا »

١ ــ مواقفنا من أولادنا: امتلاك أم اطلاق ؟طبعة ثانية منقحة ومزيدة
٢ ــ عناد الولد وسلطة الوالدَين طبعة ثانية منقحة ومزيدة
٣ ــ عصبية الولد... وتوتّر الوالدَينطبعة ثانية منقحة ومزيدة
٤ ــ الولد الخجول وتربية الثقة بالنفسطبعة ثانية منقحة ومزيدة
٥ ــ الغيرة الأخوية وتفهّم الوالدَينطبعة ثانية منقحة ومزيدة

الفهرس

توطئة
اسئلة وملاحظات أبداها الأهل حول الغيرة الأخوية والعلاقات بين الأخوة..... ٥

الفصل الأول: الغيرة: تعريفها وأسبابها ٩
أولاً: تعريف الغيرة الأخوية ٩
ثانياً: أسباب الغيرة الأخوية ٩
١ ــ الأسباب العامة ٩
٢ ــ وضع الولد البكر ١٢
٣ ــ وضع الولد الذي يشغل مرتبة متوسطة ١٤

الفصل الثاني: الغيرة المعاشة وأبعادها ١٧
أولاً: ازدواجية المشاعر لدى الولد الغيور ١٧
ثانياً: ايجابيات الغيرة ١٩
ثالثاً: المظاهر السلبية للغيرة ٢١
١ ــ العدوان السافر ٢١
أ ــ الاعتداء على الأخ الأصغر ٢٢
ب ــ المشاجرات ٢٢
ج ــ كلمات التحقير والرفض والكراهية ٢٢

٢ ــ العدوان المكبوت ٢٤
أ ــ سورات الغضب لأتفه الأسباب ٢٤
ب ــ العناد والعصيان ٢٥
ج ــ القاء أشياء من النافذة أو الشرفة ٢٦
د ــ القسوة على الحيوانات ٢٦
هـ ــ الإكتئاب ٢٧
و ــ الخوف ٢٩
ز ــ تكبيل الحيوية ٢٩
٣ ــ النكوص الى مراحل طفولية بدائية ٣٠
أ ــ الإمتناع عن الأكل ٣١
ب ــ البوال ٣٣
ج ــ التخلف المدرسيّ ٣٤
د ــ عدم احترام ملكية الغير ٣٤

الفصل الثالث: كيف نواجه الغيرة الأخوية ؟ ٣٧
أولاً: ان نعدّ الولد لمجيء « الدخيل » ٣٧
ثانياً: ان لا نرتاع أمام الغيرة التي يبديها أولادنا ٤٠
ثالثاً: ان نشعر الولد انه مسموح له بأن يغار وبان يعبّر عن غيرته بشكل معقول ٤٢
رابعاً: مجالات التنفيس المعقول عن الغيرة ٤٧
١ ــ عند الطفل الصغير: الأعمال التعبيرية الرمزية ٤٧
٢ ــ عند الطفل الأكبر: التعبير اللفظيّ ٥١
٣ ــ عرض حالة: ايزابيل (٩ سنوات) ٥٦

خامساً: تأكيد حبّنا للولد الأكبر ٥٨
سادساً: مساعدة الأخ الأكبر على تقبّل الكِبَر ٥٩
١ ــ بأن نسمح له بنكوص مرحليّ ٦٠
٢ ــ بأن لا ننفّره من الكِبَر بمقارناتنا ٦٢
٣ ــ بأن لا نثقله بالمسؤوليات ٦٣
٤ ــ بأن لا نفرض عليه عناية قسرية بالأصغر .٦٤
٥ ــ بأن نبيّن له التفوق الذي يمنحه الكِبَر ...٦٤

سابعاً: اتخاذ الموقف المناسب حيال الأصغر ٧١
ثامناً: ايلاء اهتمام خاص للولد الوسيط ٧٤
تاسعاً: تحاشي المقارنة بين الاخوة ٧٥
عاشراً: تحاشي التدخّل في المشاجرات الأخوية ٧٨
الخلاصة ٨٧
الحواشي ٩٢
المراجع ١٠٨

العناد، العصبية، الخجل، الغيرة.... مشاكل يصادفها الوالدون في تعاملهم اليوميّ مع اولادهم، وقد يتحيّرون في سُبُل مواجهتها: فلا الاساليب التقليدية، التي نشأوا عليها، تبدو لهم منسجمة مع مناخ العصر، ولا الاساليب الحديثة، التي يتطلعون اليها، تبلغهم دائماً دون تحريف او تشويه.

هذه المجموعة، المنطلقة من تساؤلاتهم، تحاول ان تقدم لهم جواباً مقنعاً وشافياً عن هواجسهم التربوية، مستنداً الى خبرة المؤلف كوالد ومرشد تربويّ والى تخصصه النفسي. انها تسلّط الضوء على طبيعة المواقف التي يتخذها الوالدون تلقائياً في سياق حياة الاسرة، والتي تؤثّر سلبياً، من حيث لا يدرون احياناً، في سلوك اطفالهم، وذلك بغية مساعدتهم على استبدالها بمواقف أسلم تعود عليهم بالارتياح وعلى اولادهم بالاتزان والانشراح.

تتكون المجموعة من خمسة اجزاء:

١ - مواقفنا من اولادنا: امتلاك ام اطلاق؟
٢ - عناد الولد وسلطة الوالدَين.
٣ - عصبية الولد.. وتوتّر الوالدَين.
٤ - الولد الخجول وتربية الثقة بالنفس.
٥ - الغيرة الاخوية وتفهم الوالدَين.

وتصدر في طبعة جديدة موسّعة.